

تأليف

سيجموند فرويد
أستاذ علم النفس في ألمانيا

و

وليم شتيكل
عميد كلية الطب في فينا

ترجمة

على السيد حضاره

يطلب من المكتبة الشعبية ٣٩ شارع عبد العزيز بالقاهرة

كذلك عن المرأة — بل أن المسألة تزداد حدة — ذلك لأن حلقة المجتمع تضيق بالمرأة أكثر منها بالرجل . فالبيئة والتقاليد والحياء والاجتماع والدين والآداب والعرف — كل هذه الاعتبارات تؤاخذ المرأة وتحملها المسئولية أكثر ما تؤاخذ الرجل — مما يؤدى بها الأمر إلى الكبت والحرمان ، فتدفن المرأة أحزانها فى قلبها وتشيع فيها الانفعالات النفسية ، ثم يذهب بها الطريق إلى الأمراض العصبية . ولا شك أن الهستيريا أكثر شيوعا بين النساء منها بين الرجال ومردها الانفعالات الجنسية المكبوتة — فالكبت أشبه بأناء مملوء ماء محكم الغلق وموضوع على النار — فالغليان إذا لم يجد له مخرجاً يؤدى إلى الانفجار الشديد . . .

... ولقد حدثتنا قصص التحليل النفسى بأن جل الأمراض العصبية مردها الجنس . فالنزعات الجنسية هى العامل القوى الذى يقف وراء الستار ويثير كيان المريض ويهز قوة الإدراك فيه ويمزق شخصيته .

... وأن واجب الآباء وواجب الأطباء ورجال الاجتماع العمل على محاربة الأمراض العصبية أو بمعنى آخر تفهم ما يجيش بنفسية المريض من ميول جنسية مكبوتة وترويضه وتقويمه ومساعدته على السلوك فى الطريق السليم .

وفى جل الأمراض النفسية — كثيراً ما تغيب عن عقلية المريض معرفة الأسباب التى تؤدى إلى التوتر العصبى أو الحدة

النفسية فينسبها إلى أسباب بعيدة كل البعد عن السبب الأصلى .

ولقد قامت نظريتان نظرية تقول بأن فتح باب المسألة الجنسية أمام الطفل مشكلة شائكة — فكأنك تفتح عينيه قبل الاوان وكأنك توحى إليه بأشياء ليأتيها بينما هو نفسه خالى الذهن والفكر عن الموضوع — فمن الخطورة إذاً التحدث إلى طفلك بأسرار الجنس — ومن المصلحة أن تترك الطبيعة تحل له المشكلة فى وقتها المناسب . أما النظرية الأخرى فتنادى بضرورة تذليل المسألة الجنسية إلى عقلية الطفل وتبسيط أمرها الى ذهنه حتى لاتفاجئه مشاكلها وهو غيرمدرك لها . وأصحاب هذه النظرية يحتجون بأن شباب اليوم غير شباب الأمس ، وأن أطفال اليوم تتفتح عيونهم قبل الأوان ، وأن المدنيــة الراهنة تحمل معها المشاكل العديدة والأخطار الجسيمة ، وأكبر خطر هو المشكلة الجنسية . وأنت إذا أغمضت عينك عن هذه المشكلة وتركت الأمور تسير بأطفالك كما تريد بهم الظروف فكأنك بذلك تغالط نفسك وتكون أشبه بالنعامة التى تدفن رأسها فى الرمال هرباً من الصياد . فالطفل الذى ترتطم به الحياة الجنسية العاصفة ويحمله التيار إلى ناحية شاذة بعيداً عن الشاطىء السليم ، هذا الطفل مسكين لأنه وهو فى ضلاله يكافح فى الظلام دون أن يملك وسيلة واحدة للنجاة من أمراضه معتمداً على نفسه فى حل كل مشاكله مما قد يؤدى به الأمر إلى زيادة اضطرابه وزيادة أوهامه .

وثمة لفتة أخرى على هذا الكتاب — تجد أن لا حياء فى

العلم — فالبحث العلمى الصحيح أن يجب يكون منزهاً عن
عن الخطايا وعن التفكير المغرض وعن الشك فيما يكتبه المؤلف
ويقدمه إلى قرائه فلكل إنسان الحق فى دراسة المسائل الاجتماعية
والنفسية وله الحق أيضاً فى أن يخوض معركة الكتابة والتعبير ،
ولكن على شرط أن يكون ذلك بأسلوب علمى راق . وكما أن
الناس لا يلوموك إذا تحدثت إليهم عن تشريح أجهزة الجسم
ودراسة الجهاز الهضمى أو الجهاز العصبى أو الجهاز التنفسى أو
الجهاز التناسلى أو ... أو ... أقول كما أن الناس لا يلوموك على
طريقة عرضك لموضوعك وبحثك العلمى فيجب ألا يلوموك أيضاً
إذا اتجهت فى بحثك عن الجنس والبحث فى الميول والأغراض
والشذوذ والانحرافات والمثيرات لأن الهدف هو تبديد الظلام
وإلقاء الأنوار الكاشفة على الحقائق العلمية ، الهدف هو الوقوف
تحت مسقط النور دون خجل ، الهدف هو معرفة الحقائق النفسية
فى شىء من الشجاعة .

... ولقد شهدت السنين الأخيرة الدراسة العلمية المنظمة ،
فمدرسة فرويد قامت على أساس البحث العلمى وأنشأت فصولا
عديدة وجذبت إليها تلاميذ عديدين لهم شخصيات بارزة فى العلم
والأدب راحوا يؤمنون بنظريات نبيهم « فرويد » ، وتتلخص
أصول التعليم فى هذه المدرسة بأن كل الانفعالات النفسية
والأمراض العصبية وسر نجاح الإنسان فى الحياة أو سقوطه
مرده الجنس وإنا لنشعر ونحن أمام مدرسة فرويد بأننا أمام

مسألة نريد أن ننبه إليها الأذهان ذلك أن البحث فى أصول
الجنس القائم على أساس علمى موضوعى سليم يجب أن تنأى عنه
الشبهات ، فنحن أمام ظلام نريد أن نجليه بالحقيقة .

... لقد مرت بالإنسان فترة من الزمن فى العصور الوسطى
كان البحث فى ماهية الكون والبحث فى الشمس والقمر والأرض
والكواكب من البحوث التى يعتبر الخوض فيها كفر وإلحاد ،
فقد عارضت الكنيسة كبيلر وكوبرنيس وجاليليو ، وحتى عهد
قريب ، أعنى إلى مدى قرنين تقريباً كانت الكنيسة تعتبر أن
البحث فى علم الحيوان أو علم النبات ، والبحث فى نظريات
التلقيح من البحوث الخربة التى تتعارض مع شريعة السماء .
ولكن انبلاج النور فى كل مكان بدد نظرية الكنيسة ، كذلك
الشأن الآن يجب أن يقوم على أساس تشجيع البحث العلمى
المنظم فى كل فروع الحياة ما دام الغرض إضاءة النور وتبديد
الظلام وخدمة الإنسانية .

... إن هناك أمانة علمية فى عنق العلماء يجب أن يقدموها
إلى المجتمع فيضعوا أمامه الحقائق العلمية على لونها الطبيعى دون
زخرفة . فالعالم الذى يدهن أبحاثه بدهون النفاق أو يحبس علمه
عن المجتمع شأنه شأن الجاهل . فالطبيب الذى يستنكف من
أن يواجه مريضه بمرضه السرى طبيب منافق شأنه شأن الجاهل
فمهمة الأطباء معالجة أمراضنا ، ومهمتهم أيضا التنبيه إلى الخطر

حتى نتحاشاه ولا نقدم عليه ، فأنا إذا نبهت قوى إلى خطورة القوة التى يتمتع بها عدوى ، لا أكون حينذاك مثبطاً للهمة أو ناشراً مبادىء الهزيمة وإنما أكون مواطنا من الطراز الأول ، لأن الخوف من الخطر يبحث على الاحتراس والتحصن . ولقد قيل « من خاف سلم » .

هناك أمانة علمية فى عنق البحاثة تهدينا إلى الحقيقة — وأن الذى يتجاهل هذه الأمانة وهذه الحقيقة شأن الذى يتجاهل البحر المحيط لاتساعه أو شأن الأبله الذى يحاول أن يجففه بقطعة من الأسفنج ثم يمعن فى سفاهته فيجلب معه عديداً من الناس ويجلب معه كميات كبيرة من الأسفنج لينجز مهمته بسرعة . وليس هناك أوسع من محيط البحث الجنسى — على أن البعض يتجاهل هذا المحيط فيرمى كل باحث أو منقب بالسفه والإباحية . ولكنا نرى أن المزيد من الدراسة فى أصول علم الحيوان وأصول علم النفس وأصول علم الاجتماع — نرى مدى ما فى هذه العلوم من ارتباط بالجنس مما يؤدى إلى نتيجة يمكن أن نكيف بها العلاقة بين الغريزة الطبيعية وتهذيبها بمطالب المجتمع .

. .. والمشكل أن الجهاز الجنسى ليس كأى جهاز آخر فى الجسم يتأثر بالعصارات والغدد والبنية ، وإنما هو يتأثر بالنفس فقد يحدث أن يكون لرجل ضعيف مقدرة جنسية عن رجل سليم لأن ذهن هذا الرجل الضعيف الجسد دائب التفكير بالتيارات الجنسية عن الرجل المعافى مثلا ، وقد يحدث لامرأة صارخة

الجمال والأنوثة أن تصاب بالشذوذ الجنسى بينما نرى امرأة قبيحة المنظر والخلقة مسترجلة فى تكوينها الجسدى قريبة الشبه من الرجل — أقول نجدها سليمة من أى عيب من عيوب الشذوذ والتفسير المنطقى هنا أن الميول الجنسية لا تتبع التكوين الجسدى بل هى تتبع التكوين النفسى ، فالميل الجنسى معبر عن النزعات النفسية . ولكى أزيدك إيضاحا أقول بأنه قد يصادفك أناس يبدون أمام المجتمع فى أثواب الملائكة عفة وطهراً بينما هم أبالسة الجحيم .

. . . وفى البحوث الجنسية — لا يمكن لك أبداً أن ترسم قانونا للناس فتقسم المجتمع إلى طبقات — طبقة الملائكة وطبقة الأطهار ، وطبقة المنحرفين وطبقة المجرمين ... الخ — لأن كل إنسان فى هذه الحياة يختلف عن غيره ، ولا يمكن لك أن تأتى برجلين أبداً متساويين فى العلم والذكاء والفهم والقراءة والمعرفة والإدراك... فلابد أن تجد فارقا ، وهذا الفارق يؤدى إلى فارق فى الشخصية ، مما يؤدى بالتالى إلى فارق فى الميول الجنسية .

وثمة لفتة أخرى على المسرح العلمى نجد أن للإنسان حق التعلم والمطالبة بالزيادة والعرفان حتى يمكن له أن يعلل الأمور التى أمامه — فإيمانى بالله قائم على أساس البحث والتنقيب وهو أقوى منه فيما لو أخذت الأمور قضية مسلمة دون تفكير — فالقراء الذين يطلبون معرفة كل شىء يحدوهم ميل قوى لمعرفة

أسرار المشكلة الجنسية — فالأطفال الصغار والفتيات اللاتى لم يتزوجن ونساء الأديرة والراهبات والفلاحات الساذجات وفتية المدارس ، والمتزوجين والمتزوجات الذين ارتطم بهم الحظ العاثر وأبى أن يسقيهم كأس السعادة وغيرهم الكثيرين الذين يعيشون فى غموض — هؤلاء جميعاً فى حاجة شديدة إلى معرفة أسرار المشكلة الجنسية ، وأنت إذا حجبت علاج هذه المشكلة فكأنك تحجب شعاع المصباح بيديك لتلقى بدله الظلال الكثيفة وكأنك تهدف بذلك أن تزيد الأمر عليهم غموضاً وتضليلا .

وليست المشكلة الجنسية مشكلة إباحيـــة إنما هى مشكلة اجتماعية ، فهى مفتاح الحب والزواج ، فإذا عجز الزوج عن تفهم نفسية الميول الجنسية فى قلب زوجته ، معنى ذلك أن السفينة السعيدة سوف ترتطم وتتحطم ، وطالما ارتبط الزوجان برباط الحب وطالما عرف الزوجان ميول كل منهما ظلت السفينة سابحة فى سعادة وهناء وأمن الزوجان من الغرق .

ولقد دلت الأبحاث القائمة على الإحصاء الدقيق أن ثلثاى المتزوجين فى خلاف دائب وشجار مستمر وأن مرد هذا الشجار والخلاف هو انعدام الانسجام الجنسى .

وفى كل مجتمع — وفى كل منطقة من العالم — اعتقد الناس أن الزواج وإشادة بيت الزوجية من المسائل الضرورية فى تكوين المجتمع ، ولكن هذا البيت — إذا لم يظلله الحب —

يكون أشبه بتمثال خرب تصفر فيه الريح وتنقصه الروح .

... وثمة لفتة إجتماعية أخرى على الشباب العديد الذى بلغ سن الزواج دون أن تساعده ظروفه الماليـــة أو المعنوية على الزواج . هل يمكن لنا أن نتغاضى أمره ؟! ... ونتركه فى حيرة جنسية دون أن نبين له وسائل الحياة أمامه ؟! ... أعنى نترك هؤلاء العديدين يتخبطون فى أمرهم فيحل كل واحد منهم مشكلته حسب ما يروق له أو يتراءى أمامه ؟! ... أم نساعده ونفسر له بعض الغموض الذى اكتنف هذه المشكلة .

إن جل قصص الأدب والغرام تدور أحداثها حول صراع الشباب العنيف فى سبيل الحب وتتلخص هذه القصص الغرامية فى أن أبطالها نمى فيهم الميل الجنسى قبل الأوان — فمثلا أحب « أسيس » « جالتا » ، وهو فى السادسة عشر . وكانت « لشيون » لها ألف عشيق وهى فى الرابعة عشر . وكان « نارسيس » فى السادسة عشر عند ما ترامت نسوة المدينة تحت أقدامه . وكانت « هيلين » فى الثانية عشر عند ما هجرت اسبرطه إلى باريس جرياً وراء عشيقها — وكانت «جولييت» فى الثالثة عشر عند ما سقط « روميو » فى غرامها — وجن « قيس » بليلى وهو فى ربيع الحياة فكأن عشاق التاريخ — مردهم النضوج الجنسى المبكر . وإنى أتساءل : ماذا تصنع لو واجهتك اليوم مشكلة جنسية ، فيهيم شاب صغير بفتاة ؟ هل نتركه يتهادى فى جنونه لتتخذ من حياته قصة وأسطورة — أم تروضه وتساعده ؟! ... وعلى أى أساس

يكون ترويضك ومساعدتك ؟ ؟ ... وكيف يمكن لك أن تقدم له من نصيحة إذا صممت على أن يظل الكتاب الجنسي مغلوقاً دون أن تقدر على فتحه ؟ ! . . .

ويسود البعض اعتقاداً بأن شباب العشرين يجب أن يترك الميل الجنسي جانبا وألا يجعل له شيئا من تفكيره حتى يحل ميعاد الزواج فيدخل عتبته وهو صافي السريرة والقلب وهذا الاعتقاد سليم ، ولكن ماذا تفعل أمام المنحرفين ؟ ؟ هل تعتبرهم خارجين على المجتمع فتشذب أطرافهم بالسوط ؟ ! . . . أم تعتبرهم مرضى فى حاجة إلى رعاية وعناية وفى حاجة إلى الاهتمام والترويض .

العقــد النفسية

. . . إن كل العقد النفسية — أو بمعنى آخر كل الانحرافات الجنسية التى تظهر فى حياة الإنسان مردها الطفولة — ففى هذه الفترة من حياة الإنسان تكون النفس لينة أشبه بالعجينة تتأثر بما يحيط بها من نزعات فإذا كانت عوامل البيئة والنشأة طبيعية نشأ الطفل ونضج كما تنشأ وتنضج الشجرة بين أحضان الطبيعة مستقيمة العود صلبة البنيان نامية مورقة — أما إذا لابس طفولته ظروف غير عادية انحنى عوده وعجز المستقبل عن تقويم ذلك الاعوجاج .

. . . فالشذوذ الجنسى والتهور العصبي والاضطرابات العاطفية والانحرافات النفسية مردها الطفولة — وأنت إذا رجعت إلى حياة المريض ظهرت لك الفجوة وبرزت الجزوع واضحة فى الماضى وفى الطفولة البعيدة المدى — فالطفل الذى نبت بين أم ماجنة استهترت بتقاليد المجتمع ، ورأى هو بعينه مدى ما كانت تذهب إليه هذه الأم من مجون واستهتار — هذا الطفل ينتظره مستقبل مملوء بالغيوم لأنه عجز فى طفولته أن يرى الفضيلة بمنظارها الحقيق ، وعجز أن يرى رسالة الحياة على حقيقتها فالحياة فى نظره هى الصورة المشوشة التى رسمتها له أمه فى الصغر فإذا كبر وتزوج وفاجأ زوجته مثلا فى موقف من المواقف التى

كانت تقفها أمه — لا يثور ، ولا يتأثر كما تثور وتتأثر بقية الرجال — بل بالعكس قد يحدوه ميل الطبيعة الأولى التى نبت فيها لأن يطلب من زوجته أن تمثل الروايات التى كانت تمثلها أمه فى الماضى ، وقد تنقلب الأوضاع فى نفسه فبدلا من أن يصبح رجلا بسيطا مع زوجته — يمسى معها رجلا شاذا عنيفا قاسيا — وكأنه بذلك يحاول أن ينتقم من شخصها الإهانات التى ألحقتها به أمه . . . ويمسى معها رجلا غيورا شديد الانفعال شديد التأثر شديد المؤاخذة لها حساسا لأبعد حد وأنت إذا حاولت أن تعرف سبب المعاملة السيئة التى يأتيها الرجال المتزوجين نحو زوجاتهم وجدت السر قابع فى الأم وفى علاقة الرجل مع أمه فى الماضى . . . وفى عهد الطفولة .

والطفل الذى نبت فى بيئة عنيفة ورأى والده يقسو على أمه ويعاملها بغلظة سيرسخ فى ذهنه أن قسوة الرجال ضرورة تحتمها الحياة الزوجية فينمو وبه ميل قوى يحدوه للقسوة على زوجته القادمة — فيعاملها بالطريقة التى كان يعامل بها والده أمه — لأن الصورة المرتسمة فى ذهنه عن الحياة الزوجية هى صورة القوة والغلظة وقد تنعكس المسألة معه فبدلا من أن يكون هو رسول القسوة حامل الشر يمسى نفسه موضع الإهانة وقد تضطرب معه المسألة فيعجز عن تمييز الخير من الشر فيلجأ إلى تمثيل القسوة تشبها بأبيه وفى الوقت نفسه يمثل الخنوع أنفة من تصرفات أبيه وتشبها بأمه فتراه قاسياً وضعيفاً فى وقت واحد — شامخاً فى السماء وذليلا وبذلك تكون حياته الزوجية

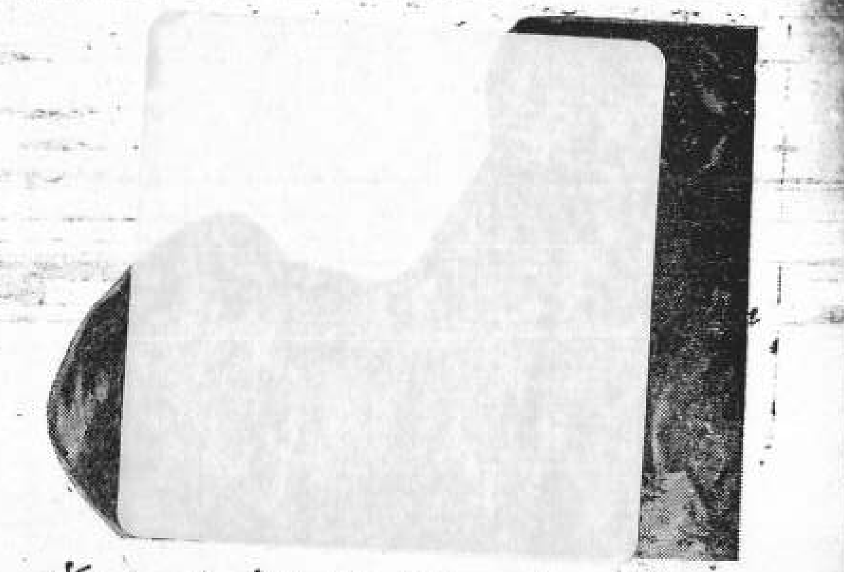
مضطربة حائرة بين اللجوء إلى الشدة وبين السير [illegible]
أن مرض « السادزم » — أعنى مرض القسوة الجنسية والعنف والشدة أو مرض « الماسوشيزم » أعنى مرض الخنوع والذلة — أو مرض « السادوماسوشيزم » أى مرض القسوة والذلة فى وقت واحد — إن مرد ذلك كله الطفولة والظروف التى لاحقت الطفل وهو فى المهد فأنت إذا أردت أن تعرف سبب العلة فى مريض فيجب أن تسلط الضوء القوى على تاريخه حتى تظهر الحقائق واضحة تحت مجهر الماضى .

والطفل الذى يدلله والداه ويذهبون معه شوطاً بعيداً فى سبيل إرضائه — هذا الطفل يتعود أن يأمر فيطاع فإذا اصطدمت طبيعته فى المستقبل مع قسوة الحياة انجرح كبرياؤه وأصابه هزال نفسى — وباتت الدنيا أمامه صخرة كؤود لا يمكن له التغلب عليها — وعجز على مصارعة أحداث الزمن وتلعب هذه الأمور فى نفسه دورها فيمس شديد الحنين إلى الماضى شديد التطلع إلى الوراء — شديد التعلق بوالديه فهو بالرغم من أن الأيام تكبر به يظل طفلا كبيراً — والطفل الذى ينبت فى بيئة مائعة شجعت ألوان الشذوذ الجنسى يضل به طريق المستقبل وينمو منحرفا عن الصواب وناهيك ما لهذا الشذوذ من أثر على تكوين الشخصية والنضوج والارتقاء .

. . . والطفل فى حياته الأولى بدائى أشبه بالحيوان أو الإنسان الأول فى الغابة تنقصه الحنكة والدراية ضعيف التقدير

بين عوامل الخير والشر — فالخير فى نظره إشباع غرائزه الأولى وإشباع بطنه ونفسه دون تفكير فيما قد يعود عليه من تخمة الطعام وهو لا ينظر إلا إلى لحظته لأن عقله الصغير عجز عن إدراك حقائق الأشياء — فتغره الألوان البراقة دون النظر إلى حقائق الأمور وتظهر طبائع البدائية الأولى فى أنانيته وحبه لنفسه وحبه لمصلحته ورغبته فى الاستحواذ على كل شىء وميله للشر والاعتداء على الغير وهو يشك فى كل ما يقال له وظنه إثم فإذا حبذت له أمه مثلا نوعا من الطعام وألحت عليه فى تناوله داخله شك فيما تقول وتمنع فى الاستجابة إليها ورفض الأكل وبه وإذا ابتلعه فقد يتقايأه .

والطفل مبالغ فى حبه وفى كراهيته يطالب الذين يحيطون به جميعاً أن يحبوه وأن يكون موضع عطفهم وخاصة أمه — وهو إذا تغاضى عن حب الناس له فلا يمكن له أن يتغاضى عن حب أمه له — فإذا اعتقد أنها لا تحبه أو أنها أهملت شأنه أصابته هزة نفسية قد تذهب بأعصابه . وهو دائب التفكير فى كل ما يثير انتباه أمه حتى يتأكد من خلود هذا الحب — فيزعم المرض ووجع الرأس والمغص حتى يرى بعينيه مدى حنان والديه وتعطشه لهذا الحب لا ينتهى بانتهاء الطفولة وإنما يمتد حتى الرجولة ويظل بالرغم من مرور السنين — يظل الحنين يعبث بقلبه نحو أمه أو هو إذ افتقد هذا الحب تحطمت نفسه وأصابته هزة عصبية ترج كيانه — وما حب الرجل لزوجته إلا صورة من حبه لأمه — فهو دائب المطالبة لزوجته أن تؤكد



له الحب شأنه مع أمه — فكأنه استبدل الأم بالزوجة وكأن مهمة الأم فى الحياة إرواء الظمأ الذى يتعطش له قلب الطفل من حب وحنان — وهو إذا افتقد هذا الحب تحطمت نفسه وأصابته رجة عصبية تهز كيانه .

. . . جاءنى مرة رجل بصحبة طفله الصغير — وكان الطفل فى التاسعة وقال لى الوالد أنه لا يكاد يمر يوم أو بعض يوم حتى يشكو الولد من ألم فى بطنه ، ويخشى أن يكون به بعض المرض المستعصى — فلما فحصت الطفل لم أجد به شيئاً ولكنى نصحت والده بأن يعطيه ، شربة ، زيت الخروع فى كل مرة يشكو فيها الوجع — فهذا الطفل يتصنع المرض ليستدر عطف والديه وفى مذاق زيت الخروع المائع ما يجعله يقلع عن هذا التصنع .

التمادى فى هذه التمثيليات تشجيع والديهم واستجابتهم سريعا
الأوهام وهم مقدرة على استغلال البكاء والدموع والسكحة
لاستدرار عطف والديهم كما أن لهم مقدرة على استفزاز آبائهم
بوسائلهم المختلفة — وهم كثيروا الملاحظة لما يدور فى جوانب
البيت — قديرون على التقليد فكأنهم صور كاريكاتيرية لوالديهم.

حدث أن جاءتنى إحدى مريضاتى وكانت تشكو من آلام
معوية حادة مما منعها عن الطعام — وكان زوجها يحايلها بوسائله
العديدة كى تقدم على الطعام — وكان للمريضة طفلة فى الرابعة
سرعان ما لحت حالة أمها فراحت تمثل مرض المعدة باتقان حتى
اعتقدت الأم بأن العدوى انتقلت منها إلى الطفلة.

حدث لطفلة فى السادسة أن طلقت أمها من زوجها لتتزوج
آخر واختارت الطفلة العيشة بصحبة والدتها — فعمدت إلى
مالأة الزوج الجديد، ولكنها فى الوقت نفسه لم تنس أن تستثير
أمها ضده — كلما سنحت لها الفرصة — فمثلا إذا حدث وذهبا
لانتظاره وطالت غيبته راحت الطفلة — عامدة — تستفز أمها
قائلة «لماذا ننتظر به يا أمى؟.. وما الداعى لأن يهمل شأننا
هكذا؟!... أفلا ترين أنه كان الأولى به أن ينتظرنا هو بدلا
أن من يتركنا نحن ننتظره؟!...» وحدث مرة أن كانت الأم
تقطع «بصلا» وهيجت رائحة البصل عيون الأم — فقالت الطفلة
فى تهكم «وددت لو أنه قطع بصلا حتى تسيل دموعه ويدرك
بنفسه مدى ما نلقيه من تعب وجهد».

هذه صور من حياة الأطفال و[illegible]
حقيقة نفسياتهم — فإذا كنا نعتقد أن الأطفال ملائكة صغيرة
تعيش معنا فنحن خاطئون — فالطفل ما هو إلا رجل صغير —
أو بمعنى آخر — الرجل صورة مكبرة للطفل الصغير.

... جاءنى شاب فى الأربعين — راح يحدثنى عن نفسه —
فقال بأنه لا يمكن له أن يذهب إلى النوم قبل أن يأخذ وسادة
السرير الذى ينام عليها ويضع طرفها فى فمه — ولقد حاول
مرات عديدة أن يحرر نفسه من هذه العادة الرذلة — ولكنه
عجز عن ذلك — وقد أظهر التحليل النفسى أن لهذه العادة صلة
تمت إلى عهد الطفولة — فقد تعود وهو فى الرابعة من عمره أن
ينام بين أحضان خادمته التى كانت تشرف على تربيته — فلما
كبر انعكست صورة الماضى على حاضره — ولعبت العوامل
النفسية دورها فاستبدل المربية بالوسادة واحتضنها كما كان يحتضن
مربيته وهو طفل صغير.

... حدث أن جاءتنى فتاة فى السادسة والعشرين مريضة
بداء العادة السرية — ومع علمها بمدى الضرر الذى تتعرض له
من جراء هذا الداء إلا أنها عجزت عن الاقلاع عن عادتها وكانت
تحتفظ لنفسها بمعطف من الفرو الثمين — ولقد دلتنا الأبحاث
فى نفسها بأنه يرسب فى أعماق هذه المرأة عقدة نفسية مردها
الطفولة — أما أصل العقدة فتتلخص فى أنها كانت — وهى طفلة
تعبث مرة فى ملابس أمها فرأت معطفا من الفرو راحت ترتديه

وتتأملين بنفسها أمام المرآة — فقالت لها الأم مازحة « عندما تكبرين أرجو أن تتزوجي بائع معاطف » .

ولعبت العوامل النفسية دورها فى حياة هذه الطفلة — فلما كبرت وجدت نفسها ترنو نحو كل معطف مصنوع من الفرو حتى باتت أسيرة معاطف الفرو .

... وهذه قصة سيدة فى الأربعين من عمرها متزوجة ولها أولاد على أبواب أن تصبح جدة ولكن بالرغم من ذلك السن الطويل ما يزال يحبوها ميل شديد لأن تلقى بنفسها من حين إلى آخر بين أحضان الماضى فتخلق حول نفسها جوا أشبه بجو الطفولة التى كانت تعيش فيه ... فتعمد إلى العرائس والدمى وتجمعها حولها وتظل تلعب بها ساعات طويلة ... وقد لاحظ زوجها عنها هذه التصرفات الصبيانية فكان يؤاخذها ولكنها لم تكترث له وظلت على عادتها تلاعب دماها وعرائسها حتى أثارت أعمالها عيون أطفالها وعيون جيرانها فراحوا يتهكمون منها ومن أعمالها فكانت تنتظر حتى يغط الجميع فى النوم فتعمد إلى غوايتها فتمارسها بشغف بالغ .

ولقد دأبت هذه المرأة على مداعبة أولادها بلين وحنان كما تصنع مع الدمى ودأبت على ملاعبة أطفال الجيران أيضاً فكانت تقضى كل أوقاتها معهم تشعر بإحساس الطفلة الصغيرة .

هذه الصور مظهر من مظاهر الارتداد لعهد الطفولة .

أما القصة التالية فلفتى فى سن الخامسة عشر مريض منذ

تسعة أشهر — ومرضه غريب فى نوعه فى مساء كل يوم فى تمام الساعة السادسة يحس بوخز عنيف فى قدميه وبشبه شلل فى ذراعيه مصحوب بوجع شديد وينتابه إصفرار بالغ واختلاج فى عينيه وارتفاع فى نبضات القلب وفى الحرارة والحالة الجسمية العامة ويشتد به القلق العصبي فيرقد كالنمر المجهد ويظل يلهث فى شدة ويدور فى أركان الحجرة — وينطق ببعض كلمات مكتومة ينادى بها على أمه أو أخته ... ويطول به الوقت وهو على هذه الحال حتى إذا دقت الثالثة صباحا ، استغرق فى نوم عميق فلا يستفيق منه إلا فى الثامنة صباحا — ليتناول بعض الطعام ثم يعود إلى النوم ويظل فى نومه حتى الرابعة مساء — ثم تأخذ أعراض الأزمة فى الظهور فما تحل السادسة مساء حتى يكون المرض قد أخذ بتلابيبه فكأنه يقضى نهاره نائماً ومساءه ساهراً دون أن يغمض له جفن .

ولما اشتدت به الحال وضعه أهله فى إحدى المستشفيات فظل بها بضعة أسابيع دون أن يتقدم به العلاج — ثم جاءنى بصحبة والديه ، وفحصت الفتى ودرست حالته جيداً ، ثم لجأت إلى التنويم المغناطيسى حتى غاب عن رشده وأصبح الفتى تحت سيطرتى تماما ورحت أستجوبه عن الأزمة . فأجابنى بأنها بدأت عنده عقب زواج أخته مباشرة — مما جعلنى أربط بين هذا المرض الذى حل به وبين زواج أخته . أما تفاصيل ما حدث بالضبط — فهو أن حفل الزواج بدأ فى الصباح وظل إلى ما بعد

منتصف الليل .

وفى صباح اليوم التالى انتاب الفتى عاصفة شديدة من البكاء ولم يعرف كيف يفسر هذا البكاء إلا أنه هبوط نفسى وحزن عميق ناجم من فراق أخته فقد تعود المعيشة معها مما جعل الفراق عزيز عليه — ثم انتابته موجة من الأفكار المغرضة وراح تفكيره الشرير يحوم حول أخته وحاول أن يطرد ذلك التفكير ولكنه عجز ، وظل الشيطان يوسوس له فى أذنيه وكان الشاب ديناً فراح يؤاخذ نفسه على هذا التفكير السقيم وبالتالى راح يكبت كل هذه الأفكار التى تحوم حول أخته مما أدى به إلى الانفجار النفسى وإلى حالة المرض التى يعانيها .

ولجأت إلى التنويم المغناطيسى مرة أخرى لعلاجه وسلطت شعاعا قويا على عينيه ، وسرعان ما ذهب فى سبات نوم عميق ، وأمرته وهو تحت التأثير المغناطيسى أن يتعود الحياة الطبيعية ، وأن يقلع عن هذه الانفعالات التى تحيط به وأن يتعود الذهاب إلى فراشه فى الساعة التاسعة وأن ينام نوما هادئا وأن يستيقظ فى السادسة — وقد أطاع الفتى ما أمرت به وظل معافى بضعة أيام ، ولكنه سرعان ما عاد إلى حالته المرضية مرة أخرى ، فكان ينام النهار ويسهر الليل — وبمعنى آخر فقدت أوامرى المغناطيسية قيمتها عليه .

هذه القصة مثل ناضج لكثير من الحالات النفسية التى

تصيب العصبيين عند ما يتمسكون بأهداب فكرة ويجدون من الصعوبة التخلص منها . فهذا الفتى شديد التعلق بأخته ، شديد التفكير فيها ، شديد الإحساس نحوها . ومرضه الذى يعانيه نتيجة للكبت والحرمان ، فبين زواج أخته ومرضه ملابسات ، فالعروس أعدت حفل الزواج فى السادسة مساء وزفت إلى زوجها فى الثالثة صباحاً ، وهذا الوقت هو الذى يضيق الفتى فيه ذرعا بالحياة وبآلامها وينتابه وجع شديد وألم — وفى الثالثة صباحا يغط فى النوم ، وهو يعادل الوقت الذى اعتقد فيه أن أخته — ليلة الزواج — راحت تدلف إلى سريرها .

ولم ينجح علاجى المغناطيسى معه — لأن ذهنه خصب بخيالات الماضى ، شديد التعلق بأخته وبذكراها ، شديد التفكير فى لحظة زواجها وليلة زفافها .

هذه القصة مثل واضح لما يمازج أمثال هؤلاء العصبيين من تعلق بفكرة الماضى ، وهى مثال حى لارتداد الإنسان نحو الطفولة .

الميل الجنسى فى الطفل

يعتقد البعض أن الطفل الصغير خال من الميل الجنسى منزه من الخطايا يعيش مع الملائكة وأن حياته الجنسية لاتظهر إلا فى سن البلوغ ... هذا الاعتقاد خاطىء وخال من الصحة فالغريزة الجنسية تولد مع الطفولة — شأنها شأن كل غريزة أخرى ولكى أوضح هذا الكلام — أضرب مثلا بالغرائز الأخرى — فغريزة الخوف تولد مع الطفل الرضيع فهى موجودة فيه كما هى موجودة فى الرجل المسن — اللهم إلا أنها تختلف شأنا فى مظهرها — فالطفل يخاف من الأشباح ويخاف الظلام ويخاف الوحدة ، والرجل يخاف اللصوص ويخاف الطرد من وظيفته ويخاف على ضياع ماله ، أعنى أنها موجودة فى البشر منذ الولادة وأن اختلفت فى مظهرها — وغريزة حب البقاء موجودة فى الطفل الرضيع كما هى موجودة فى الرجل أيضاً فكل منهما يحافظ على حياته ويروم لنفسه النجاة وغريزة السباحة موجودة فى الأوزة الصغيرة فتراها تولد وهى عارفة السباحة شأن الأوزة الكبيرة — وهكذا الحال فى كل الغرائز — كذلك شأن الغريزة ... إذن فالطفل الرضيع له إحساس جنسى شأن الرجل البالغ ولكن كل ما يمكن أن يقال هو أن غريزته غير كاملة لأن جهازه التناسلى لم

ينضج ويؤكد هذا القول ما يعمدن إليه الخادمات من العبث بأعضاء الأطفال الرضع ، إذا عمد هؤلاء الأطفال إلى البكاء كوسيلة لاسكاتهم — فيحس الأطفال بالنشوة ويقلعون عن البكاء — وناهيك بما لهذه الطريقة من خطورة على أعصاب الأطفال وأثر على صحتهم .

ويتركز الإحساس الجنسى فى الطفل فى الفم فالرضيع يحس بشعور جنسى وهو يمتص لبن أمه ويتلذذ بثدى أمه ويغار عليه ويبغض كل من يقترب منه فكأن الفم فى الطور الأول هو المحور الجنسى وهو إذا سحبت أمه ثديها من فمه وضع أصبعه بدلا منه ليحاول أن يستحلب اللذة الهاربة منه وأن كثيراً من الأطفال بلغ بهم السن دون أن يتمكنوا من التخلص من عادة وضع الأصبع فى الفم — ولا شك أن التقبيل فى الناضجين لذة رسبت من عهد الطفولة فإذا كبر الطفل انتقلت موضع اللذة من الفم إلى الظهر والمناطق المحيطة بالفخذين وأن الأمهات اللاتى يطرحن أولادهن ويضربوهن بقسوة — إنما ينبهن الإحساس فى هــذه المنطقة فيتمد الميل الجنسى بالأطفال بما قد يؤدى فى المستقبل إلى الشذوذ الجنسى .

فإذا بلغ الطفل الرابعة أو الخامسة أنتقلت مناطق الإحساسات الجنسية إلى الطبيعة — وفى ذلك السن تبدأ الحياة الجنسية فى الظهور ويوجه الطفل إحساسه العاطفى حينذاك إلى أقرب المحيطين

به أو بمعنى آخر يوجه إحساسه نحو أمه — فتكون الأم فى نظره بمثابة الملهمة لعواطفه المصيرة لإرادته — فهى أمامه وسيلة وغاية وحبه لها حب جنسى بحت يقوم على خيالات خصبة من الميول العاطفية — فهو يبكى إذا غابت عنه ويتألم إذا لم تبادله الحب ويغار عليها إذا اقترب منها أبيه أو أخيه أو أخته لأن الطفل يرى أن أمه له وحده وملكه دون أن يقاسمه شريك . ولا شك أن التوتر النفسى الذى يصيب الطفل والغيرة التى تنتابه من تصدع آماله نحو أمه له أثر كبير على نفسيته وحياته القادمة .

وفى هذا السن بالذات تنمو العقد النفسية فالطفل الذى يرتبط بأمه ارتباطاً وثيقاً يصعب عليه فى المستقبل التخلص من هذا الحب وينمو به السن دون أن يتمكن من التحرر من رباط الماضى — فيكون أسير والديه — وناهيك عما فى ذلك من أثر على مستقبله .

ثم تتقدم به الحياة ويأخذ أهبته فى سبيل الدخول فى الوضع الطبيعى — فإذا بلغ السن ونضج وصارت معه الأمور عادية استقر به الأمر واتجه إحساسه العاطفى نحو الوضع الطبيعى واختار شريكة حياته مع ما يتناسب مع مزاجه وميوله .

هذا هو الوضع الطبيعى فى الإنسان العادى أما المنحرفين فانحرافهم الجنسى ناجم من فلتة فى حياتهم مردها الطفولة وعدم مقدرة المريض على التخلص من الأطوار .. أو بمعنى آخر تعلق

المريض بعهد الطفولة وتشبثه بالماضى فمثلا الطفل الشديد التعلق بأمه — يظل حنين الماضى دائماً بها .. وهو إذا بلغ الهمة وبلغ السن رفض الزواج واختلق الأعاذير — ولكنك إذا بحثت فى قرارة نفسه وجدت أن السبب الأصلى هو التعلق الشديد بعهد الطفولة والحنين لوالدته والرغبة فى استمرار الشعور بأنه طفل على أن مثل هذا الطفل قد يجد له مخرجا فيتزوج امرأة فيها شبه شديد بأمه .. فكأنه استعاض بها عن أمه .

أعرف رجلا فنانا تزوج امرأة كانت تكبره بأربع سنين وعاش معها فترة تحت ظلال الحب ولكنه لم يلبث طويلا حتى دب بينهما الشقاق فكان يتلمس لها الأخطاء فيعاتبها عتابا شديدا ثم اشتد الشقاق بينهما حتى كاد ينهال عليها ضربا — وكان يطعنها فى كبريائها فيزعم بأنها تخونه — وبالرغم من تأكيدها له بأنها مخلصة إلا أنه كان يتلذذ دائماً فى إتهامها بالخيانة حتى يجد فيها عذرا للشجار والخلاف فكان إذا خرج معها إلى الطريق العام مثلا — ورأى شابا عابر سبيل يمر بهما صدفة وحانت منه التفاتة لها — سرعان ما رميها بالسوء ويزعم لها بأنه يربطها بهذا الشاب علاقة آثمة ولا يلبث أن يجعل من هذا الحادث موضع شجار مستمر .

ولما اكتشف بأنها أكبر منه سنا سرعان ما جعل من معرفته بهذا السر وسيلة لمهاجمتها — فراح ينهال عليها ضربا ثم طلقها بحجة

خداعها وغدرها — ولكنه لم يطق عنها بعدا فما لبث أن عاد بها
ثانية إلى بيته — ولكن ظل الصراع عنيفا دون أن يهدأ له حال
— وفى مرة من مرات الغيظ ألقى فى وجهها زجاجة أحدثت
جرحا كبيرا قضت من جرائه أسابيع وهى تحت العلاج ثم خرجت
بعاهة كبيرة شوهت جمالها .

وانتابته عقب ذلك رجة فراح ضميره يؤنبه على سوء تصرفه
— وشعر بهول الجريمة التى اقترفها فبات مخلوع النفس مهزوز
الوجدان حائر بين عاطفتين متناقضتين فهو لا يريد الاحتفاظ بها
فى حضانته — لأن أعصابه أصبحت متوترة لا تقبل أى تفكير فى
صراع جديد وهو لم يرض أن يسرحها لأن التشويه الذى تركه
فى وجهها كان له رد فعل على نفسيته فشعر بهول الجريمة التى اقترفها
فى حقها ومن ثم وقع فريسة قلق وحيرة واضطراب فجاء يسألنى
المشورة .

إن هذا الشاب مصاب بعقد نفسية نبتت فى الماضى وهذه
الإنحرافات أو هذا الشذوذ أو هذا الاعوجاج فى شخصيته مرده
الطفولة وإذا سلطنا شعاعا من ضوء قوى على نفسيته ظهرت
أمامنا مدى الجزوع التى تخالج سريرته — ولقد أظهر لنا التحليل
النفسى أن هذا الشاب مصاب بعقدة التعلق بالأم فقد ولد بين أم
قاسية وأب ضعيف وكانت شخصيتها جامحة فشب شديد الشغف
بها شديد التأثر بها شديد التعلق بها ورسخ فى ذهنه منذ الطفولة

أن الفتنة تتركز فى المرأة القوية — ومن ثم ...
سنا لأن فى كبر السن رمز للقوة وقرب التشبيه بينه وبين أمه فلما
عاش معها وجدها ضعيفة الشخصية هزيلة التكوين تنتقص القوة
التى كانت تتمتع بها أمه فانتابه شىء من خيبة الأمل مما أثار
أعصابه فعمد إلى إيذائها كانتقام منها ومع أنه لم يكن راغبا فيها
إلا أن شيئا آخر كان يجذبه إليها فقد كان اسمها على اسم أمه وفى
هذا التشابه فى الأسم بينها وبين أمه ما قربها إلى ذهنه — ومن
هنا كان كثير التردد بين الانصياع لها وبين الأنفة منها — وثمة
لفتة أخرى على هذه المسرحية نجد أن هذا الشاب شديد الإحساس
فهو ينهال عليها ضربا ، ثم يطلقها بحجة خداعها وغدرها ، ثم
لا يلبث أن يسترجعها ثانية وهذا التردد بين نفسيته نتيجة لما يخالجه
من شعور الحيرة والقلق أو بمعنى آخر الصراع بين النفس والضمير
أو بمعنى آخر صراع الرغبة فى العودة إلى الماضى والارتداد إلى
عهد الطفولة وبين الاستئثار بشخصيته الراهنة والاستقلال بنفسه
— أعنى هذا الصراع أدى إلى الاضطراب النفسى .

وأنتقل إلى قصة أخرى لفتاة حزينة فى ربيع الحياة تحس
بهبوط وقلق واضطراب — فهى تستيقظ فى الصبح مهمومة
يسامرها ميل شديد للبكاء والأنين فإذا انتصف النهار وذهبت
عنها غمامة الحزن — لا تمكث طويلا حتى ترتد إلى الستائر الداكنة
نحو الشعور للانقباض — وهى دائبة الشجار مع أمها شديدة
الحساسية نحوها — فإذا حدثتها أمها بكلمة جافية سرعان ما تفقد

البكاء لاتستفيق منها إلا بعد ساعات ، وهى تلقى باللوم الشديد
على السماء التى حرمتها من عطف الأب منذ الصغر فلو كان هناك
عدل لما اختطفت أبيها مبكرا — ويزداد توتر الحالة النفسية —
لأن الوقت يمر بها سريعا ، وهى تصعد سلم الحياة دون أن
يتقدم لها خطيب يأخذ بيدها — وتخشى أن تمر السنين ويفوتها
القطار وبذلك تقضى حياتها عانسا .

هذه الفتاة مصابة بعقدة التعلق بالأم — فهى تحب أمها حق
العبادة ومن أجل هذا الحب رفضت الزواج فكانت تخلق
الأعاذير فى كل شاب يتقدم إليها ليطلب يدها — وأن أسعد
اللحظات فى حياتها هى الأوقات التى تقضيها إلى جوار أمها —
ولكن أمها امرأة جافة خشنة الطبع غليظة القلب — ومن ثم
عجزت أمها أن تجد استجابة لعواطفها — فراحت تعيش فى وحدة
وعزلة عن الأم — ثم تعرفت على امرأة كبيرة السن فكانت
تتردد على زيارتها كبديل لأمها ثم ارتبطت معها برباط من
الشذوذ الجنسى — فعاشت سعيدة بصداقتها — ولكنها سرعان
ما اكتشفت أن هذه المرأة تخون الرباط ومن هذه الخيانة
اصطدمت عواطفها مرة أخرى — ومن ثم كرهت هذه المرأة
كما كرهت أمها وكما كرهت النساء جميعا .

وثمة سبب آخر كان له أثر على نفسيتها ذلك أن أمها امرأة

العشاق إلى دارها وعلى مرأى من أولادها — فكانت هذه الفتاة
ترى المسرحيات المريضة وترى بعينيها مدى الانحدار الذى وصلت
إليه الأم فكان ينتابها غيظ شديد من جراء هذه المناظر المؤذية
— وكانت ترى أن هؤلاء الرجال أشبه بالذئاب فالواجب عليها
أن تحمى نفسها وأمها — وكان لها أخت راحت ترسم طريق
الأم وبذلك بدا واضحا أن الظلام الذى خيم على الأم وخيم على
الأخت ينتظر مستقبل هذه الفتاة — فالغمامة التى أعمت الأم
وأعمت الأخت سوف تحط على عينيها فتعميها هى الأخرى —
ولقد ارتسمت فى ذهن هذه الفتاة الصغيرة — ارتسمت صورة
الأم كرمز للشيطان فكرهتها وكرهت معها أختها وكرهت الزوار
وكرهت المحيطين بها جميعا وارتدت هذه الألوان القاتمة من
الكراهية البغيضة ارتدت عليها فكرهت نفسها أيضاً وكانت لها
ابنة خالة تزوجت حديثا وأنجبت طفلا ولكن والده رفض
الاعتراف به فازدادت كراهية الفتاة للبيئة المحيطة بها — فكرهت
ابنة خالتها أيضاً وكرهت معه ابن السفاح الصغير — ومع أن
زوج ابنة خالتها اعترف بالطفل بعد ذلك .. وأصبح ابن السفاح
طفلا شرعيا إلا أن الفضيحة التى لابست هذا الزواج كللته باللون
الداكن مما أصبح مستحيلا على هذه المريضة أن تنزع من ذهنها
صورة القبح الذى تعيش فيه هذه العائلة .

ومما زاد فى سوء هذه القصة الصراع العنيف الذى كان يقوم

بين أخت هذه الفتاة وأمها — فقد حدث أن تقدم شاب وسيم الطلعة إلى أخت هذه الفتاة يطلب يدها — فسرعان ما ألقت الأم شباكها حوله وطبعاً راح الإثنان يتنازعان هذا الرجل يتخاصمان على حبه ومن ثم أضاعت الأم كل ما تبقى لها من وقار .

وكان لهذه المريضة أخ لم تعجبه هذه التصرفات القبيحة فكان يأنف من هذه الصور الداكنة التى تحيط بهذه الدار فتركها وراح يعيش وحده ثم خطب إليه فتاة تعرفت إليها هذه المريضة وكانت تتخذ من صداقتها وسيلة للتعزية — ولكن أخاها سرعان ما تخلى عن خطيبته هذه فتخلت هى الأخرى بدورها عنه ثم بعد ذلك أصابتها التيارات العصبية الجامحة وسقطت فريسة الإنهيار النفسى .

أنا نلمح هنا مدى الصلة الشديدة بين هذه الفتاة المريضة وبين أخيها — فتقربها من هذه الصديقة كان بمثابة تقرب من أخيها فكأن هذه الصديقة كانت بمثابة همزة الوصل بين هذه الفتاة وبين أخيها — وهذا التعلق بالأخ أثر من آثار الماضى وهى فى حبها لأخيها إنما تهدف به العودة إلى الطفولة — وهذا التعلق نكسة إلى الوراء وارتداد الماضى .

ويرينا التحليل أيضاً أثر الأم فى تكوين النشء وكيف تخلق الأم الاشمئزاز والكراهية فى قلوب الأبناء الأبرياء فنحن أمام فتاة ضحية سوء تصرف أمها وسوء تصرف البيئة المريضة التى نبتت فيها — هذا التصرف السيء بعث الكراهية إلى قلب

فتاة بريئة حتى باتت تنظر إلى العالم بمنظار أسود — ولا شك أن المسئولية فى مرض هذه الفتاة يقع على أمها فهى التى عجزت منذ الطفولة تقويم الفتاة على أساس سليم بسوء تصرفها وشذوذها ومجونها — فقد لعبت الدور الأكبر على مسرح حياتها أما أبيها وأما أختها وأما أخيها فلم يكن لايهم دوراً مهما فى هذه المسرحية فقد اكتفى كل منهم أن يأخذ دورا من أدوار الكمبارس التى ساعدت على إخراج المسرحية ولكن دون أن يكون له جانب من البطولة .

هذه القصص صور من العقد المختلفة التى نبتت فى عهد الطفولة وترينا أن النضوج فى العصبيين — إنما هو نضوج غير كامل وهو فيه دائماً لفتة إلى الوراء وارتداد إلى عهد الطفولة وبمعنى آخر ترينا أثر الطفولة على المستقبل .

القلق النفسي

ينبت القلق في النفس من تصادم رغبتين متعارضتين ، فإذا حدث مثلا أن جرح شعورك أحد الناس بكلمات نابية فقد تأخذك العزة وتنهال عليه ضرباً ، وقد تؤثر السكوت على أنه ينتابك أثر ذلك غيظ وانفعال واضطراب مما يؤدي إلى قلق عصبي — هذا القلق مرده التضاد بين الرغبتين : رغبة الانتقام ورغبة الرضوخ والاستسلام .

وإذا حدث مثلا وكنت تجلس على إحدى المقاهي في الطريق العام ، وتصادف أن مرت أمامك فتاة جميلة وألقت عليك نظرة ذات معنى فقد تحدثك نفسك في أن تتبعها في الطريق ، على أنه في الوقت نفسه ينتابك شعور آخر فتؤثر البقاء حيث أنت . ومن بين هاتين الرغبتين يحل بك حيرة وتردد وقلق — فالقلق هو نزاع شديد بين رغبتين متناقضتين كل منهما تحاول أن تملى إرادتها . والقلق يخلق التردد ، والتردد يخلق العصبية ، والعصبية تؤدي إلى الإنهيار العام ، والإنهيار العام يخلق الشك ، والشك إذا زاد عن حده يؤدي إلى الحيرة والخوف وعدم الاطمئنان مما يؤدي إلى الهستيريا والأمراض العصبية الأخرى .

وسبب القلق والاضطراب في كل الحالات النفسية هو

الكبت الجنسي أو بمعنى آخر مرده — سواء عن طريق مباشر أو غير مباشر — مرده الميل للإشباع الجنسي — مرده المجهود الكبير الذي يبذله ليكبت ذلك الميل . وإن كثيراً من المصابين بالقلق لا يدركون أن سبب ذلك هو الكبت الجنسي أو بمعنى آخر أن سبب القلق رغبة جنسية تعيش في قلب المريض الحائر .

وأضرب مثلا بقصة شاب في ربيع الحياة جاء يستشيرني من قلق نفسي شديد . فهو يشك في كل شيء أمامه ولقد بلغ به الشك حداً أن بات لا يصدق عينيه ، فإذا رأى لوناً أحمراً لا يفتأ يغالط نفسه ويعيد النظر ليتأكد من أن هذا اللون أحمر وليس باللون الأسود أو الأزرق — وإذا ترك منزله مثلا في المساء المتأخر وأراد الخروج لاستنشاق بعض النسيم فقبل أن يغلق الباب خلفه يتأكد من أن جميع أضواء المنزل مغلقة — ثم يذهب إلى الباب الخارجي ويستعد لمغادرة الدار ، ولكنه لا يلبث أن ينتابه الشك مرة أخرى خشية أن يكون قد نسى مصباح الغاز مشتعلا فيعود ليتأكد من أنه مطفأ ثم يبالغ في الاحتراس فيعمد إلى المفتاح العمومي (المحبس) فيغلقه ويغادر الدار ولكنه لا يلبث أن يتذكر من أنه لم يغلق الباب الخلفي خصوصاً وأن خادمته تنام في مخدع بجوار هذا الباب الخلفي . وهو يخشى أن يتسلل اللصوص ويعثرون بالخادمة فيقتلوها وهم في سبيلهم إلى السرقة . وفي هذه اللحظة يزداد به القلق ويزداد به الاضطراب ثم لا يلبث أن يعود إلى الدار ليتأكد

من أنه أغلق الباب الخلفى ثم يهم مرة أخرى لمغادرة هذه الدار بعد أن يلقى عليها نظرة أخيرة ليتأكد من أن كل شىء هادىء ، وليؤكد لنفسه أنه متأكد من سلامة الأمور ثم يخطو خطوة إلى الخارج ولكنه لا يلبث أن يعود فيقنع نفسه بأن الوقت قد ضاع وأن المساء متأخر وأنه من الخير له أن يبقى فى داره فلا يخرج . ثم بعد ذلك يذهب إلى حجرته فيلقى بنفســـه على سريرها مكدودا مجهداً تعباً .

ما الذى حدث بالضبط ؟ ! ... وكيف نبت الشك فى قلب هذا الرجل ؟ ! ... وكيف تطور به إلى القلق الشديد ؟ ! ...

نبت هذا القلق من تعقد الأمور فى نفسه ومن اضطراب الحقائق مع الأوهام ، فالغاز والكهرباء والباب الخلفى ـــ كل هذه المسائل أعاذير وحجج يريد أن يتخذها وسيلة ليحوم بها حول الخادمة ، فكل الذى فى سريرة هـــذا الرجل هو رغبة جنسية مكبوتة نحو هذه الخادمة ، فالشيطان يوسوس له ليتسلل إلى حجرتها ـــ بينما الضمير يقول له « لا » ، ويعود الشيطان مرة أخرى فيقول له : « ارجع إليها يا رجل . . . إنها تحبك وهى تنتظرك على أحر من الجمر » بينما الضمير ما يزال على موقفه يأبى به أن ينزل فى حبه وحياته إلى هذا المستوى الحقير .

وهكذا نرى الصراع شديدا بين الرغبة فى الحصول على الفتاة وبين الامتناع عنها ـــ أو بمعنى آخر الصراع بين الشيطان

والضمير أو بين العقل الباطن والعقل الواعى ـــ إن هذا الشاب يريد الاستحواذ على خادمته ولكن ما يمنعه من الحصول عليها هو الخوف من النتائج السيئة فقد يراه أحد أفراد العائلة أو قد تؤدى اصلة بها إلى فضيحة عامة ... أو ... أو ... الخ . ومن ثم خلقت منه هذه الرغبات المضاربة نفسية حائرة بين اتجاهين مختلفين أو بمعنى آخر تصارع الضمير مع النفس على مسرح حياته .

وثمة لفتة أخرى على هذه القصة نجد أن لها جذوع أخرى فى الماضى ، فقد حدث أن تعرضت حياة والد هذا الشاب وهو فى ربيع حياته إلى فضيحة علنية . فقـــد كان على اتصال بإحدى الخادمات ، وجره هذا الاتصال إلى مشاكل عديدة كاد يقضى على كبريائه وكرامته ، فكأن ابتعاد مريضنا عن الخادمات وخوفه منهن إنما لكى يتحاشى المصير السىء الذى تعرض له أبيه .

إن هذه القصة صورة ناطقة للصراع الذى يثور بين الضمير والنفس ـــ فالضمير هو دائماً أشبه بالرجل اليقظ تحدوه الحكمة والروية ـــ أما النفس ، والنفس أمارة بالسوء ـــ فميالة دائماً إلى التهور وتذوق الجيفة دون تفكير فى النتائج السيئة .

لا شك أن القلق والاضطراب مرده الناحيـــة الجنسية المكبوتة ـــ فعوامل الكبت تخلق فى الإنسان روح التمرد والانفعال والثورة على ناموس الحياة مما يؤدى به إلى الانهيار التام فالانتحار .

وأنت إذا حاولت أن تدرس حياة العصبيين والذين يسودهم روح التمرد والقلق فيجب أن تذهب إلى الأعماق حتى يمكن لك أن ترى حقيقة الانفعالات التى رسخت فى اللاشعور أو أعماق العقل الباطن .

وهذه قصة شاب فى ربيع الحياة مهموماً مضطرباً يشعر بقلق وحيرة — ومرضه فلتة سقطت من عهد الماضى — فقد قضى فترة طفولته فى عيشة مع أخته ، فشب شديد التعلق بها ، شديد التأثر لها . فكانت إذا غضبت عليه اسودت الدنيا فى ناظريه وإذا رضيت عليه ابتسمت له الحياة ، وكان لها سلطان قوى على تكوينه . فلما نضج وبلغ همة الرجال راحت تبتعد عنه فتزوجت مما أثر على شخصيته فأصابه خيبة أمل فابتعد عن كل النساء إكراماً لها ، وجره ذلك البعد إلى أن يلقى بنفسه إلى ناحية أخرى غير طبيعية فأصيب بالشذوذ الجنسى . ولكن الأنفة تماسكته فسرعان ما نفض يديه من هذا الشذوذ ، وراح يعوض النقص ويبالغ فى حياته . يعيش عيشة أشبه بعيشة « دون جوان » ثم أحب فتاة فتزوجها وأنجب منها طفلا .

ولكن حدث بعد ذلك أن توفى زوج أخته فأصابته نكسة ألقت به إلى شبه غموض وانهيار عام .

وبدا واضحاً من التحليل النفسى أنه واقع تحت عاملين متناقضين — فتحرر أخته من زوجها أفسح الطريق أمامه ليعاود

عهد الطفولة فيعيش معها بينما ما زالت زوجته تقف حجر عثرة تحول دون التقرب بينه وبين أخته .

ولقد حاولت جاهداً أن أزيل من ذهنه صورة التعلق بالأخت ، ولكنه لم يتمكن عن التحرر من هذا التعلق فقد كان تأثره بها شديداً وكان من العسير عليه أيضاً التخلص من زوجته مما أوقعه فى حيرة نفسية فآثر الانتحار .

إن فى الحياة قصصاً عديدة من هذا النوع تنتهى الستار فيها دائماً بالانتحار — فالموت هو الوسيلة الوحيدة الذى يشفى هؤلاء العصبيين فقد درست بعض قصص الأمراض العقلية — وكانت المريضة فتاة مدمنة على تعاطى « الكوكايين » مما أثر على كيانها العقلى فكانت تغيب عن وعيها أياماً وتظل فى غيبتها تناجى أبيها بكلمات عذبة ، ثم تثوب إلى وعيها فتجلس مبتئسة حزينة . وكان والد هذه الفتاة سكيرا دخل مرة فى لحظة الغيبوبة فوجد ابنته — ثم أحس بعد ذلك بهول الجريمة فراح يتناول الكوكايين لينسى النكبة التى أقدم عليها وراح يناول ابنته المخدر بدورها — وأخيراً انتحر وذهبت ابنته إلى مستشفى الأمراض العقلية .

أما القصة التالية فترينا أثر الانفعالات فى النفس فتجعل الأمور تبدو أمام العين فى غير شكلها الحقيقى .

وهى قصة فتاة فى السادسة والعشرين جاءتنى فى شبه اضطراب ،

فهى ترى الناس أمامها كالأشباح ، لاتقدر على أن تتميزهم تماماً ، ولقد ذهبت — قبل مجيئها لى — إلى عديد من الأطباء ، ولما أعيتها الحيل فى أمرها ذهبت طوعا إلى مستشفى الأمراض العقلية — ولكن المستشفى رفضت قبولها بحجة أنها تتمتع بكمال العقل .

ولقد أزاح التحليل الستار عن حقيقة أمرها — فأرانا امرأة شديدة التعلق بأخيها فى ماضى الطفولة — فقد ركزت عليه عينيها ، ومع أنها مخطوبة الآن إلى رجل تحبه حباً قوياً إلا أنها مازالت تحتفظ بمسقط الضوء على أخيها الذى ظل يملأ خيال ذهنها فكان حبها لهذا الخطيب — فى الواقع — استبدال لعواطفها لأخيها — أعنى أنها ما زالت تحب أخيها فى شخص هذا الخطيب .

. . . وعلى بساط التحليل النفسى وضعنا أمامها هذه الحقائق محاولين أن نبسط لها المسائل بأن الحل الوحيد هو الابتعاد عن الدار التى تعيش فيها مع أمها وأخيها أو بمعنى آخر الابتعاد عن كل ما من شأنه أن يثير انتباهها لأخيها ، ولكنها لم ترض الاعتراف معنا بأن سبب الضباب الذى يخيم على عينها هو الكبت الجنسى أو بمعنى آخر التعلق بأخيها معللة بأن الانفصال عن أمها وأخيها ليس بالشىء الهين خصوصا وأنها تعتمد عليهما ماديا ، فاقترحت عليها أن تسرع فى مراسيم الزواج كى تتيح لها الفرصة فى الابتعاد عن عائلتها . ولكنها كانت تتلكأ وبالرغم من الحب العنيف الذى تحدثت لى به عن خطيبها تشعر كأن شيئا يجذبها من الخلف حتى لاتتزوج .

هذا الشعور تشبث عنيف فى نفسها للمحافظة على تراث الماضى أو بمعنى آخر تشبث بأخيها .

لقد تحطمت كثيرا من الزيجات على صخرة التعلق بأحد أفراد العائلة — فالفتاة الشديدة التعلق بأمها أو أبيها أو أحد أخواتها — إذا تزوجت سرعان ما تحس بالفراغ الكبير الشاغر فى قلبها فتشعر بالوحدة والحنين نحو أهلها ، ثم لايلبث هذا الحنين أن يتزايد ويكبر فى ذهنها حتى لاتقدر على مقاومته بينما يزداد الإحساس بالكراهية نحو زوجها لأنه يقف أمامها بمثابة العدو الذى جذبها من أهلها وفصلها عن معبدها الأول .

وتعود إلى القلق عندما يصل إلى حالات الأزمات فيسمى أشبه بالهستيريا ويمسى المريض فى حالة من التوتر العصبى الشديد الذى يكاد يقترب من مرتبة الجنون .

وأضع أمام القارىء هنا قصة فتاة فى الثانية والثلاثين والفتاة تقية ورعة تقضى معظم وقتها على السجاد ، ولكنها مصابة فى أعصابها ، فهى ترى أنها تملك قوة خفية من عند الله فلها مقدرة فى الحكم على أفراد البشر — من منهم يذهب إلى الجنة ؟ ومن منهم يذهب إلى النار ؟ — وتعتقد أن فى قدرتها أن تسمم الناس بمجرد إشعاعات ترسلها من عينيها .

ان سبب هذه الهزات العصبية التى تبدو أمام الناس كأنها مس من الجن — سببها الضغط على أعصابها من جراء الكبت الجنسى — فلهذه الفتاة أخت أخرى جميلة خلابة ، وكان لطول المقارنة بينها وبين أختها ها خلق فى قلبها الشعور بمركب النقص فراحت تعيش فى حرمان من استكمال الشخصيــــة . ثم شاءت الظروف أن يتقدم لها أحد الخطاب ليطلب يدها ولكن الخطبة لم تتم ، فراحت تتمنى له المرض ، وشاءت الصدفة أن يمرض ، ثم انتقلت بتمنياتها السيئة إلى أختها الجميلة فتمنت لها أن تصاب بسوء فشاءت الصدفة أن تصاب بالمرض أيضاً ، فاعتقدت أن فى نفسها قوة سحرية متصلة بالسماء تستجيب لإرادتها .

إن شأن هذه المرأة شأن كل العصبيين الذين يعتقدون أنهم يملكون قوة سحرية خفية يستنزلون بها اللعنات على أعدائهم .

وفى كل الحالات التى يعتقد فيها المريض أن فى مكنته أن يسبب ضرراً إلى آخر يكون مرد هذه الحالات ... كبت جنسى دفين فى قاع النفس .

حدث أن استدعيت إلى زيارة فتاة فى الرابعة والعشرين مريضة بالهستيريا ...وكانت الفتاة مليئة الجسم تجرى فى وجنتيها الحمرة تحدثك بالصحة ، اللهم غير شحوب ورعشة واضحة فى عينيها . وفهمت من مجريات كلامها أن المرض بدأ عندها منذ

عام فقد حدث أن اضطرت أمها أن تغيب عن دارها بضعة أيام ولمحت الفتاة الغدر فى عينى والدها فراحت تخشاه فكانت إذا ذهبت إلى مخدعها بالليل أحكمت غلق الباب بالمزلاج وكانت فى النهار دائبة الاحتراس منه فلم تمكنه من فرصته ، وكانت فى ذلك الوقت تعمل سكرتيرة بأحد المكاتب ، وقد لاحظ زملاءها اضطرابها وقلقها فى ذلك الحين ، فحاولوا الاستفسار منها عن السر ولكنها لم تخبرهم ، وظلت على هذا المنوال أسبوعين حتى خارت أعصابها تماماً ، فلم تعد تهتم بعملها أو حياتها وبانت امرأة سارحة الذهن غائبة التفكير سريعة الغضب سريعة الثورة والانفعال .

وقابلت والدها وحاولت أن استفسر منه عن حقيقة ماذكرته هذه الفتاة ، ولكنه كان يتحاشى نظراتى وأسئلتى وكان خجولا مهموماً مما دعانى للاعتقاد بأن محور كلامها يقوم على كثير من الصحة — وتحدثت لى عن أمها فقالت بأنها امرأة شريرة حاولت مرة أن تضع لها السم فى الطعام ولكنها رفضته ، وكان فى حديثها عن أمها ما جعلنى أعتقد بكذب الرواية عن أبيها فادعاتها بأن والدها حاول أن يخدشها إدعاء خال من الصحة وهى تتمنى لو أن يقترب والدها منها — ومن ثم أنقلب هذا التمنى إلى خيال حتى بات فى اعتقادها الخيال حقيقة وساءت حالة هذه الفتاة وبات من

المستحيل علاجها مما استدعى نقلها إلى مستشفى الأمراض العقلية حيث ظلت هناك إلى الأبد .

. . . و جاءنى مرة مريض فى الثانية والعشرين شبه فاقد الذاكرة ، وقال لى والده بأن ابنه شاب مجتهد فى حياته المدرسية ولقد أظهر التحليل بأن هذا الشاب شديد التعلق بوالدته يكن لها أعمق الحب ، ولقد اشتد به الحب لها حتى بات لايحلم إلا بها وسيطر حبها عليه حتى أفقده كل إحساس بكل شىء فى الحياة وأفقده عقله وهو أغلى شىء .

و الغريب فى هؤلاء المرضى ... أنهم لايعترفون بأمراضهم كنكبة أفقدتهم لذة الحياة واحترام المجتمع وهم لاينظرون إلى شذوذهم نظرة الناس لهم لأنهم يعتبرون هذا الشذوذ غاية السعادة التى يهدفون إليها ، وهم لايذهبون إلى طلب العلاج إلا فى الحاجة القصوى عندما يشتد الأمر بهم ويصبحون فريسة الوقوع فى أيدى رجال القانون أو موضع احتقار المجتمع أو الشعور بضغط عصبى عنيف — وهم إذا ذهبو للعلاج لايفتأون ينتحلون الأعذار للتخلص من العلاج زاعمين لطبيبهم بأنهم وصلوا ذروة الشفاء أو أن مواردهم المالية لا تساعد كثيراً على الاستمرار فى العلاج — وأنى لأذكر مرة أنى كنت أعالج مريضاً تعود تعاطى الكوكايين واعتمدت فى علاجى على الإيحاء والتنويم

المغناطيسى . . . وكنت أسأل المريض فى كل مرة يزورنى عن مدى أثر المرض عنده فكان يزعم بأنه يدب نحو الشفاء سريعا مع أنى فى الوقت نفسه كنت واثقا بكذبه وأن الطريق يتأخر به — أما سبب ذلك فهو سهولة حصوله على الكوكايين مما كان يقلب العلاج رأسا على عقب وترجع صعوبة علاج المنحرفين لتمكنهم من سهولة الحصول على ما يشبع شذوذهم — فمثلا المصاب بالشذوذ الجنسى إذا وجد الأرض الخصبة سرعان ما يترعرع مرضه — وهو إذا لجأ للعلاج دون الامتناع عن مورد الانحراف فلا فائدة فى علاجه .

الأسرار المكبوتة

هناك بعض المرضى يعتقدون بأن الناس تراقبهم فيخشون مثلا أن يلقوا ببعض الأوراق إلى الطريق العام أو أن يهرولوا فى سيرهم لأن الناس تعد عليهم الخطى وهم يتكلمون بحذر ويتحركون باحتراس وهم دائبو الظن والتفكير شديدو الحساسية — فى الواقع مايدفع أمثال هؤلاء الى ذلك التصرف الشاذ هو مايحاولون أن يخفوه من أسرارا خطيرة فى أعماقهم فتراهم يبالغون كثيرا فى المحافظة عليها عاملين دائما أن تظل هذه الأسرار مدفونة فى القاع دون أن يعرف بها أحد فيحيطوها بسياج متين من الكتمان ناسين أن هذه التصرفات الشاذة وأن هذه المبالغة فى الكتمان إنما تكشف عن نفسيتهم وتكشف عما يجيش فى أعماقهم.

ولعل فى هذا ما يفسر لنا من أن الكثيرين الذين يعانون أزمات نفسية إنما يبالغون فى الاحتفاظ بسر هذه الأزمات دون الإفصاح عنها — فمثلا المرأة المصابة بداء الوسوسة فى المبالغة بغسل يدها دائبة التحدث إلى الناس عن النظافة زاعمة أن النظافة من ضروريات الصحة العامة — ومثلا المرأة المصابة بداء الوسوسة فى تنظيف بيتها تظل طوله وقتها تعمل فى كنس الدار وغسل النوافذ ومسح الأرض معللة ذلك بأنها ، ربة

بيت ، ناسية أن هذه المبالغة من شأنها أن تكشفها أمام الناس.
أن هؤلاء مرضى يخفون بين صدورهم أسرار دفينة لايريدون الإفصاح عنها — ويبالغون فى الاحتفاظ بها حتى يكادوا ينبخون تحت عبء وزرها وأن كثيرا من هؤلاء المرضى الذين يحضرون لنا فى طلب العلاج من وساوسهم لا يريدون فعلا العلاج ولا يفحصون لنا عن أسرارهم برغم المجهود الكبير الذى نبذله معهم وهم إذا أفصحوا عما يسامرهم من قلق يظلوا محتفظين لأنفسهم بجزء ولو يسير من هذه الأسرار — ويظل هذا الجزء اليسير فى صدورهم بمثابة الكوبرى الذى يعبرون عليه ليعودوا إلى أمراضهم .

... وأن الذى يحمل فى صدره سرا ويبالغ فى الاحتفاظ به سوف ينسى هذا السر بمرور الأيام ... ثم يصبح بعد ذلك أسير عادة المبالغة فى حفظ شىء فى صدره ، ولكنه لا يعرف ما هو هذا الشىء الذى يحمله — ثم يتصرف فى الحياة تصرف الذى فقد شيئا عزيزا عليه ولكنه لا يعرف ما هو هذا الشىء فهو أشبه برجل خرج من داره ونسى به كتابا كان قد أعده ليأخذه معه ثم يعود إلى الدار ليأخذ الكتاب ولكنه ما يكاد يصبح بالدار حتى يكون قد نسى ما كان قد عاد من أجله فيظل يدور فى حيرة من أمره يعبث بالأشياء متسائلا مع نفسه عن السبب الذى جاء له وحدا به للعودة .

وثمة لفتة أخرى على أمثال هؤلاء العصبيين الذين يبالغون

فى المحافظة على السر تجد أنهم أنفسهم غير قادرين على حمله
فيذهبون إلى الطبيب محاولين الإفصاح عما فى صدورهم
ليجد لهم العلاج — ولكنهم ما أن يصبحوا أمام الطبيب حتى
تنعقد ألسنتهم ويرفضون الكلام مهما كان السبب أو الداعى
حدث أن جاءتنى فتاة تشعر بالبرود الجنسى وراحت تتحدث
لى عن تعاستها فى الحياة الزوجية ولما أردت منها أن تذكر لى
فيما لو أن زوجها قاسيا أو أنه شاذا فى معاملتها راحت تبكى
وراحت تنتحب — ولما أردت أن أعرف منها أى بصيص
يدلنى عن مبعث هذا القلق الذى يجيش فى نفسها لم ترد على أن
ألقت الدموع سخية من عيونها دون أن تزيدنى شيئا .

... وبالاختصار لم أتمكن من أن أصل إلى شيء مما يجيش
فى صدرها فقد كانت تبالغ فى المحافظة على سرها — فلم ترد أن
تفصح لى عن شيء لأن برودها الجنسى مع زوجها كان ناجما
عن شذوذ جنسى مقنع — فقد عاشت هذه المرأة تقضم التفاح
مع فتاة أخرى — وهى تخشى أن أعالج برودها فتفقد بذلك
حب هذه الفتاة الأخرى .

هذه القصة ترينا المبالغة فى التحفظ فى السر حتى لا يفقد
المريض اللذة التى يحلم بها من جراء إفشاء سره .

... وحدث أن جاءنى شاب يمتهن الصيدلة وقال لى بأنه



دائب تخيل فتاتين يتصارعان مع بعضهما ويتملكه هذا الخبل
طول يومه وأنه دائما ما يجد نفسه فريسة العادة السرية نتيجة
لهذا التخيل مما أودى به الأمر إلى الانهيار العصبي .
... ولقد تفهمت سريعا مدى هذه الأوهام التى تعبث
بخياله فرحت أجاريه فى حديثه بل إنى ذهبت أكثر مما كان
يتصور فأكلت لهخيالاته فقلت له « وأنت ترى أيضا أن هاتين
الفتاتين اللتين يتصاعان مع بعضهما سرعان ما تأتى إليهما نساء
أخريات عديدات فيتبازون مع بعض » .
... وكان تأثير حديثى عليه شديدا فهم من مجلسه مأخوذا

فى دهشة وأمسك بكلتا يدى كما يمسك المجرم البرىء — وراح يهزنى فى غرابة قائلا « وكيف عرفت ذلك ؟ ! إنى إنى حيرة منك ! ! » ومنذ هذه اللحظة — أعنى منذ أن أفصحت له عما يجيش فى صدره لم أره حتى اليوم .

. . . وإنى لأتساءل إذن عن الداعى الذى يحدو هؤلاء المرضى للبحث عن الشفاء هل هم يريدون العلاج حقيقة أم أنهم يريدون أن يرضوا ضمائرهم بأنهم بحثوا عن العلاج دون أن يصلوا إليه أو يهتدوا له .

أن الرغبة فى العلاج والخوف من العلاج فكرتان متناقضتان تشد كل واحدة منهما الأخرى . وهذا التشاد مايضع المريض تحت هزة نفسية حادة .

حدث أن جاءتنى زوجة أحد أصدقائى وبسطت أمامى شكواها وقالت بأنه ينتابها اضطراب عصبي شديد وأنها ترددت منذ ستة أشهر قبل مجيئها لى — ولكن ظروفى فى ذلك الحين لم تمكنى من معالجتها لأن وقتى كان مزحوما بالمرضى الآخرين فزكيت لها أحد أصدقائى ولكنها أصرت على أن أتولى بنفسى علاجها — فطلبت منها إزاء ذلك أن تنتظر بضع أسابيع حتى يسمح وقتى لقبولها — ولكنها رفضت الانتظار — وقالت — « لقد انتظرت ستة أشهر قبل ذلك ولما أتيت لك أراك الآن ترفض علاجى فما الداعى إذن لجفائى » .

قلت « أنا لا أرفض علاج أحد ولكنى لا أملك الوقت بينما أزكى لك أحد الأطباء الذى لا يقل كفاءة عنى . . . »

— « إنى لا أطلب منك غير العلاج . . . وأنا لا أقدر على الانتظار » فإذا لم تساعدنى الآن فإنى سأنتحر .

— « أنت تطلبين المستحيل . . . وتلجأين الآن إلى التهديد لقد ترددت ستة أشهر قبل مجيئك لى ثم لا تقدرين على الانتظار أسابيع أخرى فما الداعى لهذه اللهفة ؟ ! . . .

. . . وهكذا دارت المناقشة على هذا النحو ولشد دهشتى أن رأيت المرأة تركع على قدميها فى ذلة تتوسل لى وتذرف الدموع وتضرع أن آخذ بيدها — وأخيرا اضطررت لأن أترك لها الحجرة فقد كانت مواعيدى مزدحمة بالمرضى الآخرين بينما رفضت أن تخرج من عندى .

قد ترمونى بالقسوة ولكن ما الذى فى يدى حتى أقدمه لهذه المرأة بينما هناك مريضات أخريات غيرها فى سبيل العلاج .

. . . وعقب ذلك بينما كنت فى حجرتى لفحص بعض مرضاى دخلت على الممرضة فى لهفة وقالت لى بأن السيدة التى كانت عندى قد ذهبت إلى سطح العمارة وهددت بأن تلقى بنفسها إلى الطريق العام .

لعلنا لاحظنا الآن مدى ما يجيش فى صدر هؤلاء المرضى

من التردد فى طلب العلاج وهم إذا لجأوا إلى العلاج سرعان
ما يتلمسون أقل الأسباب لقطعه .

وأضع أمام القارىء قصة أخرى شبيهة بالقصة السابقة ، فقد
حدث أن جاءنى شاب فى التاسعة والعشرين من عمره وراح يحدثنى
عن القلق الذى ينتابه منذ الطفولة ، وقد قال لى بأنه تردد مرات
عديدة على كثير من الأطباء دون أن يصل إلى علاج وأخيراً
جاء لى — فأشفقت عليه — ولكن وقتى كان مزدحماً بمواعيد
عديدة من المرضى الآخرين فلم أتمكن من قبوله فاعتذرت له —
ولكنه ألح فى ضرورة أن أتولى علاجه وراح يلاحقنى بخطاباته
مهدداً بالانتحار إذا لم أقبله ضمن مرضاى .

. . . وأخيراً أخذت على عاتقى مهمة العلاج وراح الرجل
يتردد على عيادتى يتحدث إلى عن همومه . . . ولمحت بين كلماته
أنه يحاول أن يخفى سراً فرحت من جانبى أشجعه على الكلام . .
وراح المريض يواظب على العلاج يزورنى كل يوم ، ولمحت فى
حديثه أنه يخفى فى أعماقه سراً فحاولت أن أجد ثغرة إلى صدره
كى أتمكن من أن أزيح الستار عن هذا السر ولكنه كان حريصاً
فى أن يبعد عن ذهنى كل ما قد يجعلنى أشك فى أمره .

وحانت منه مرة جملة عارضة عن أخته فلما أردت إيضاح
الكلام أشاح بوجهه عنى ، فأوضحت له بأنه لن يصل إلى علاج
طالما هو يحاول إخفاء الأمور عنى ، وأنه يجب أن يعدنى بأن

يكون صريحاً معى — إلا أنه رفض ذلك الوعد ثم انقطع عن
العلاج ولكنه عاد لى بعد أسبوع وكانت أول جملة قالها لى : إنى
إذا أردت أن أستمر فى علاجه فيجب ألا أذكر له اسم أخته او
أتحدث له فى شىء عنها . ولكنى أفهمته بأن العلاج يقتضى أن
يفصح لى عن أسراره وليس له أن يفرض على شرطاً ثم أخبرته
برغبتى فى قطع العلاج — فقد كنت أهدف من وراء ذلك أن
أحطم المقاومة النفسية التى تخامر الرجل ، على أنه راح يتردد على
عيادتى كل يوم لمدة شهر دون أن أوليه أقل اعتبار .

. . . ثم انقطع عن زيارتى لالتحاقه بالجيش ، على أنه ظل بعد
ذلك يلاحقنى بخطاباته يومياً . . . ثم بعد ذلك انقطعت أخباره .

وإنى لأتساءل مع نفسى وقد ذهب الرجل إلى سبيله —
فيما لو كان عندى بعض الصبر . هل كنت أفلح فى الوصول إلى السر؟

لقد خبرتنى تجارب السنين بأنه من الصعب الوصول إلى
حل مع أمثال هؤلاء العصبيين — فبالرغم من الصراع النفسى
الذى يقاسونه وبالرغم من الميل الشديد فى أن يتخلصوا من السر
الذى يحملونه إلا أنهم يستميتون فى المحافظة عليه .

. . . ولقد كان يتلخص سر هذا الشاب فى غرام مكبوت
بأخته نبت منذ الماضى البعيد — فكان يحس نحوها بميل جنسى
عنيف قاومه طوال السنين وهو يخشى التحدث لى عنه لأنه يعرف
مدى العار الذى يلاقيه من جراء الإفاضة فى الكلام .

جاءتني امرأة مصابة بانهيار عصبي فأحلتها إلى أحد مساعدي الذي حاول معها جاهداً — أكثر من ستة أشهر — دون أن يصل إلى بصيص باهت من النور يريه مفتاح العلاج — فقد حرصت المريضة على الاحتفاظ بسرها — وقد اكتشفت بعد ذلك أن هذا السر يتركز في مرضها بالشذوذ الجنسي — فلما واجهتها بحقيقة أمرها امتقع لونها وامتنعت عن زيارتي .

إن الذي يحدث هو أن المريض يكون مصاباً بانحراف جنسي كالشذوذ مثلا ، ثم يصمم بينه وبين نفسه على السير إلى الناحية السليمة وعن العدول عن هذا الطريق الأعوج ، وفعلا يأخذ طريقه السوي ويرنو نحو النور ، ولكن حنينه إلى الشذوذ يدفعه دائماً للسير القهقرى .

... وفي كل الحالات التي تضطرب فيها النفس يكون سبب الاضطراب سر دفين ، وأن هذا السر إما معروف إلى المريض أو أنه غائب عنه في أغواره فلا يعرف كنهه . وأن العلاج لا يتم حتى يمكن لنا من إزاحة الحجر الثقيل الجاثم على صدر المريض .

العقد النفسية

إن الذين نراهم في الحياة مهمومين يحملون الدنيا فوق رؤوسهم يدورون في آلامهم كما تدور (أم العروسة في ليلة الفرح) ويلفون كما تلف النحلة .. يخرجون عابثين ويأتون إلى دورهم عابثين هؤلاء يعانون عقداً نفسية .. وأنت إذا حاولت أن تعرف شيئاً من أمرهم أو الداعي إلى هذه العقدة لما وجدت لها سبباً — ولكن إذا تمحصت في حقيقتهم وجدت أن السبب راسخ في القاع منذ الماضي البعيد وأن صدورهم مفعمة بالأحداث الكثيرة .. والغريب في هؤلاء أنهم هم أنفسهم لا يدركون أين تقع موضع العقـــد في قلوبهم .. ولكنه إذا تفرست المسألة وضح لك أن لكل عقدة أصل أو سبب .. فمثلا الشاب الذي لم يكن له دراية بالنساء .. ثم حدث له أن كانت أول امرأة تعرف إليها .. هي امرأة قابلها عرضا وتحدثت إليه في أسطورة طويلة عن مبادىء الفضيلة ثم استدرجته إلى بيتها ثم بعد ذلك رضخت معه لإرادة الشيطان .. ثم شاءت الصـــدف وهو خارج من دارها .. أن يرى زوجها وأولادها قادمين نحوها ، فتنزل إليهم لتستقبلهم في ثغر باسم ثم تلقى بنفسها بين أحضان زوجها وأولادها .. ترى ماذا يكون شعور هذا الشاب في المستقبل ؟! هل يصدق زوجته فيما بعد مهما تحدثت إليه عن العفة وقد رأى

بعينيه مدى خديعة المرأة المتزوجة لزوجها وأولادها إنك مهما
حاولت أن تؤكد إليه بأن هناك نساء شريفات فلن يصغ إليك.

تنبت العقد من صدمة عاطفية .. ثم ينسى الإنسان سبب
الصدمة ولكن العقدة تظل حية فى نفسه .. فلو مثلا خلب طفلا
لون الجمرة الحمراء ووضعها فى فمه على انها ثمرة واحترق بها لسانه
فستتولد فى نفسه عقدة ضد كل لون أحمر .. وأن كثيراً من
الصدمات ما يكون لها أثر شديد فتؤدى إلى كوارث نفسية
والتفسير لهذه الكوارث أن العقل عجز عن تحمل عبئها الثقيل
فانهار تحت الضغط العنيف وضاع . فكل عقل له حد ومقدرة
على تحمل الصدمات فإذا زاد الحد تحطمت هذه المقدرة .

والعصبيون أقل الناس قدرة على تحمل الضغط أو بمعنى آخر
أن الصدمات العاطفية التى تنتاب العصبيين كثيراً ما يؤدى أمرها
إلى الجنون — ويمكن تشبيههم برجل يعبر قناة ضيقة لا تسع
سوى قدم واحد ويحمل على رأسه أشياء كثيرة فكلما ازداد
ما يحمله كلما كثر تعرضه لخطر السقوط.

حدث أن أحب شاب فتاة .. وكان والده عشيقاً لهذه الفتاة
وكان يضربها ويعذبها . وكان الشاب يرى حبيبته وهى تتألم
دون أن يقدر على أن يقدم لها خيراً أو نفعاً .. فأصابته لوثة
ذهبت بعقله .. ولقد مرت بى قصصاً آثمة كانت تدور فصولها
بين أم وابنها وبين أب وابنته وبين أخ وأخته — وانتهت
جميعها بالجنون — وحدث أن غررت امرأة فى الخمسين بفتى

فى الرابعة عشر — وكانت الصدمة شديدة إلى نفسه حتى فقد
عقله — وما أوديب الملك إلا رجلا قتل أبيه دون أن يعرف
أنه والده ثم تزوج أمه دون أن يعرف أيضاً أنها أمه — فلما
عرف بعد ذلك حقيقة القصة وحقيقة أبيه وحقيقة أمه انتابته
لوثة عقلية ففقأ عينيه وهجر المدينة إلى الفيافى ، وراح يعيش
بين الجبال دون عقل — ومن أوديب الملك اشتق العلماء كلمة
عقدة أوديب . فراحوا يطلقونها على كل مريض شديد التعلق بأمه

ومرد العقــــد النفسية هى الجنس — وتصرفات البشر
من حب وكراهية وبغض مرده الميل الجنسى — وأنت
إذا أردت أن تعالج مثل هذه الانفعالات فيجب أن تذهب
إلى القاع لتعرف السبب الأصلى .

جاءنى مريض يعمل صرافاً ، وكان كثير التردد فى عد
النقود يبالغ فى خوف الخطأ من العد — هذا التردد مظهر
حائر لما يجيش فى نفسه من ميل جنسى مكبوت — فهذا الرجل
يحب امرأة متزوجة وقد عرفت زوجته بقصة غرامه فنبهت
زوج الأخرى ، ولكنه مع ذلك وبالرغم من كل هذه المخاطر
عجز عن كبح جمــاح نفسه من زيارة عشيقته ، فكان
يذهب إليها حتى إذا اقترب من بابها عاد أدراجه خشية أن
تكون زوجته متربصة له ، أو خشية أن يلصق به زوجها
سوءاً — وقد انعكست هذه الحالة النفسية على عمله فبرزت فى
صورة التردد الذى ينتابه فى حاله دفع النقود إلى الناس .

وأن من الأمراض النفسية ما نراه من أن وقوع كثير من الرجال فى حب النساء اللاتى من صنف رخيص فيقعون فى غرام نسوة ساقطات أو خادمات المنازل أو البائعات فى الحوانيت العامة . وقد يكون الرجل متزوجاً ومحترماً وله مركز اجتماعى ممتاز ، ولكنه بالرغم من ذلك يفتتن بخادمته ويعرض نفسه وسمعته للخطر . . وكما يقال عن الرجل يقال عن المرأة . فمن النساء اللاتى يتمتعن بإسم وسمعة . . من يكن لهن مغامرات عديدة مع السائقين أو الخادمين أو البوابين .

وأن مرد ذلك كله عقـــدة نفسية نبتت فى عهد الطفولة ، فالرجل الذى نبت وهو طفل بين أحضان خادمة أو تركه والده بين أيدى مربية . . يرسخ فى ذهنه أن هذه المربية أو الخادمة هى مركز الثقل الذى تدور عليه محور حياته فكان الاشتياق إلى الطبقات الدنيئـــة هو الدافع القوى الذى يرغم الإنسان بالنزول فى حبه إلى أسفل .

جاءتنى امرأة صارخة الجمال . نبتت فى بيت العز ، ولكن أمها أهملتها وهى طفلة فعاشت فى كنف الخادمين والخادمات فلما بلغت السن تعرفت إلى حوذى ثم انتقلت منه إلى الطاهى ثم تعرفت على كاتب بسيط يعمل بالمياومة فتزوجته . وبعد الزواج أحبت (السفرجى) ، ثم أحبت السائق ، وشاء سوء حظها أن يكتشف زوجها هـــذه العلاقة الآثمة فطردها إلى الشارع . وفى الشارع الكبير وجدت الحرية الرخيصة فكانت

تلقى بنفسها بين أحضان الجماعات البذيئة ، ووجدت [illegible] فى شاكلتها ، ولكن عشاقها كانوا من نوع ارستقراطى ، فبينما الابنة كالذباب تحف على القاذورات تعيش عيشة رخيصة كانت الأم كالنحلة تنتقل بين الأزهار .

وهناك رجال كثيرون يتشبهون فى مغامراتهم بتلك الفتاة فلا يجلبهم من النساء إلا النوع الرخيص فيترك زوجته الجميلة الطاهرة ليجرى وراء خادمة ذميمة .

حدثنى شاب عن حياته فقال بأن أمه لم تهتم به وهو طفل فتركته فى صحبة الخادمات ، فكان يرى فى مربيته المثل الأعلى فى الحياة ، فلما اشتد ساعده راح يميل إلى الوحدة فكان يرى نفسه أشبه باليتيم . وكان يذهب إلى المراقص العامة ليفرج عن نفسه السأم ، وكان يلقى بنفسه بين أحضان الكثيرات ، ولكنه سرعان ما سئم هذه العيشة البوهيمية فتزوج امرأة طيبة أخلص لها الود ، ولكن هذا الإخلاص لم يدم طويلا . فقد حدث أن استخدمت العائلة فتاة سرعان ماراح يبادلها النظرات وأدت به هذه المغامرة إلى أن اكتشفت زوجته قصة الخيانة والإثم فغضبت وطلبت الطلاق ، وأمام توسلاته وإبقاء على سمعته وحماية الطفل الرضيع رجعت فى قرارها واكتفت بأن تطرد الخادمة ، ولكنه لم يلبث أن وجد نفسه مرة أخرى عبداً لشهواته ، ينظر بشراهة إلى الخادمة الجديدة أو أى خادمة يستخدمونها فى دارهم ليعيد تمثيل الرواية من جديد دون أن

يقيم وزناً للكرامة أو الدعة .

إذا ألقينا ضوءا على هذه القصة من نواحيها المختلفة وجدنا الباب ينفتح عن تعلق شديد بالماضى — فحبه للخادمات ارتداد إلى عهد الطفولة — إلى العهد الذى كانت تشرف عليه المربية ، كما نجد أيضاً أن الباب ينفتح عن كراهية بغيضة نحو زوجته فهو لا يحبها ، وأن حبه لها حب سطحى اقتضته الحياة الاجتماعية ، وهو بارتمائه فى أحضان الخادمات إنما هو مظهر من مظاهر الانتقام من الزوجة — فزوجته كانت تحتقر عائلته — وهذا ذنب لا يمكن إغفاله .

... ويجب أن نذكر ان حب العاهرات والافتتان بهن مسألة شائعة ، وأن كثير من الشبان من عائلات محترمة يتزوجون عاهرات بدافع الاعتقاد بأن انتشالهن من الوحل عمل إنسانى جليل ، ولكن الغرض الحقيقى هو أن هؤلاء الشبان لا يجلبهم إلا النوع الساقط من النساء . ذلك لأن فى حياتهم خدشاً من الماضى وأن بها جرح عميق .

هؤلاء افتقدوا العطف فى الحياة وخاصة عطف الأم فراحوا يتعطشون إلى من يعطف عليهم فلما افتقدوا ذلك العطف الطبيعى راحوا يشترونه بالمال . ولطالما حل الإنسان (العصبى) فى ذهنه صورة لأمه تشبه صورة العاهرة — فكلاهما فى عقله المريض متشابهان . فالأم تعيش لأن الأب ينفق عليها ، كذلك شأن

المرأة العاهر تقبل الواقع لأن الرجل يدفع لها . والعصبى دائب الشك فى نسبه لأبيه يتساءل دائما فى السؤال الذى يحيره ألا وهو هل هو فعلا أبنا شرعيا أم ان أمه أتت به عن طريق السفاح وفى تصوره هـــذا يجرد أمه من الوضع الطبيعى إلى الوضع المتداعى ، ومما يزيد له الخيال تأكيدا فى تفكيره الضليل أن السيدة العذراء جاءت بابن لا أب له وفى هذا ما يؤكد له الشبه بين الأم والمرأة العاهر .

إن النفس البشرية مليئة بالاضطراب والتخيل — وأن الكثيرين الذين يعيشون فى أوهام — إذا لم تنقذهم العناية الإلهية من أوهامهم ينحدر بهم الطريق إلى الجريمة والجنون — فقد حدث لشاب فى العشرين من عمره كان كثير الشك فى سلوك أمه فكان يترقب حركاتها ويفسرها بما يروق له — ولقد حدث مرة فى الليـــل أن استيقظت أمه لقضاء حاجة فظن السوء فهم مذعورا وأحضر سكينا طعنها به فى بطنها فخرت على الأرض تتلوى — فلما رأى الجريمة ماثلة أمام عينيه انتابته لوثة من الجنون .

أن كثيراً من الاضطرابات جاءت نتيجة الصدمات العنيفة التى تعجز عن تحملها النفس .

ولقد حدثتنا الكتب الفرنسية أن شابا كان ذميم الخلقة لدرجة كبيرة جداً فكانت تنفر منه النساء — وأمام العطف

والشفقة قدمت الأم نفسها لابنها — ثم حدث أن رآها بعد ذلك بصحبة آخر فانتابته ثورة من الغيرة فقتلها ثم أصابته لوثة عقلية فراح يهيم فى عالم الجنون .

أن قصصا عديدة من هذا النوع تحدث كل يوم وهى إن ألقت لنا ضوءا فانما لتبرز لنا مدى ما يذهب اليه العصبيون، فى خيالهم وتفكيرهم ومدى ما يمازج هؤلاء العصبيون من ثورة على الأوضاع والتقاليد والقوانين فهم دائبوا الصراع والنضال ضد الأوضاع وضد الأفراد يعتقدون أن الطغيان الاجتماعى قد عمت موجته على البشرية وهم دائبو السؤال عن فوارق المجتمع العديدة يعتقدون أن هناك من العاهرات من هن فى الواقع أشرف نفسا وأعلى سريرة من اللاتى يسمونهن صالحات.

إن الدافع لهذا كله هو الالتواء النفسى الكامن فى القاع .

فالشاب الذى يذهب إلى الماخورة ويقضى ليله بين البارات لو أن زوجته طلبت منه أن يقضى وقته فى شرب الخمر بداره لرفض ذلك لأن للبارات وجلبة الناس سحر على كيانه الذهنى مما يجعل للخمر طعما ومذاقا كذلك الشأن فى كثير من الحياة الجنسية فكثير من النساء لا يلذ لهم الحياة الجنسية إلا فى الظلام كالخفافيش — إذا أرخى الليل سدوله وغابت الشمس خرجت تبحث عن لقمة العيش فتراهم يخلقون الغيوم ويطفئوا الأنوار ليهيئوا الجو الذى يريدوه — وهؤلاء انعكست فيهم

هذه الرغبة على حياتهم العاطفية — فلا يثور فيهم الميل الجنسى إلا إذا جعلت المرأة الدار جحيما وجاءت إلى زوجها تؤنبه وتلومه وترميه بالخيانة ثم تلقى عليه تهما جزافا.

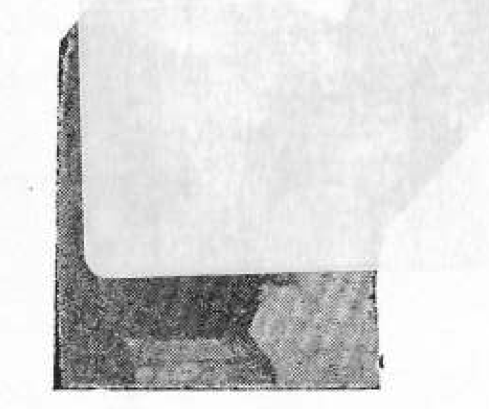
وهناك نوع آخر من النساء — لا تدرك فيه المرأة معنى الحياة إلا إذا شعرت بالخوف وأحست بأن أحدا من الناس يتلصص عليها أو يراقبها ومثل هذه المرأة تفضل العشيق على الزوج والسبب فى ذلك هو أن شخصية العشيق وطريقة اتصاله بها يشبع طابع التلصص والخوف والإحساس بأنها غير طبيعية .

وتميل المرأة فى كثير من الأحايين إلى امتحان ذكائها ومعرفة مدى قدرتها على خداع الزوج وعلى امتيازها عليه بالذكاء — فإذا اتهمها زوجها مثلا بالغباء ونعتها ببلادة الذهن تلجأ إلى الغدر به وتمعن فى خيانته لتؤكد لنفسها بأن لها مقدرة على التحايل ولتؤكد لنفسها أيضاً بأن الغباء والبلادة إنما من صفات الزوج الأبله الغافل عن زوجته — والعصبيات أكثر النساء قربا إلى السقوط فى هوة الرذيلة ذلك لأن إحساسهن مرهف — أقل المسائل الصغيرة تؤثر عليهن ويرون الأمور دائما بمنظار مكبر ومن أجل ذلك كن كثيرات التغير عواطفهن ليست ملكا لهن وهن يصورن الأهواء أكثر مما تحدوه الحكمة .

وفى الحياة الطبيعية لا يمكن أن تسير المركب بقلاعها المفرودة دون أن تكون الاستجابة بين الزوجين متبادلة —

فإذا افتقد أحدهما الإحساس العاطفى الذى يحس به الآخر تعطلت الماكينة وراحت المركب تنحرف نحو زاوية ، أخرى ولا شك أن الظروف التى تهيء الجو العاطفى هى التى تبعث السعادة الزوجية فإذا عجزت هذه الظروف عن تأدية رسالتها وخلقت النكد والشقاء وخلقت النزاع والشغب حلقت معها الكراهية والبغض والحقد الذى يؤدى إلى الانفصال ، وتقع المسئولية فى ذلك على الرجل وإن كان سوء الحظ لا يخلى المرأة من تحمل النتائج السيئة . فالرجل الفظ الذى يدخل بيته عابثا ويخرج عابثا حاملا الدنيا فوق رأسه — لا شك أن هذا الرجل تستقبله نفس باردة تنفر من مقـــدمه ، وهو إذا قضى حاجته وغادر داره شيعته اللعنات . ويجب على الذى يريد السعادة الزوجية والاطمئنان العائلى أن يبحث عن الهدوء العاطفى ، ويجب أن يعلم أن الهدوء العاطفى لا يمكن أن يستقر دون أن تستقر المعنويات ولا يمكن تستقر المعنويات إلا إذا ترفع عن توافه الأمور والصغائر وابتعد عما ينغص النفس ثم أن هناك واجبات تفرضها الحكمة وتوحى بها الرؤية وتدبير الأمور .

فعلى الزوج أن يفهم ميول زوجته العاطفية ويدرس حياتها الماضية وما مر بها من تواريخ وأحداث لها أثر على مستقبلها وبذلك يستكمل الهـــدوء المنشود ، ومن المؤسف أن يكون من الغبـاوة بحيث لا يفهم مزاجها فتراه يعيش فى واد ، وتعيش هى فى واد آخر دون أن يكون بين الاثنين ما يقرب



المسافة بينهما — أعنى دون أن تكون بينهما استجابة طبيعية تربط بينهما وتصل بين نفسيهما — وإن الذين لا يقيمون وزناً لعواطف نسائهم أشبه بمن يلعب بالنار بينما يحمل فوق رأسه صفيحة من البنزين . فإذا جاز وتزوج رجل امرأة لها ميول القسوة وكانت هى تميل إلى أن تعامل بقسوة انسجم الرباط بينهما وعاشا فى سعادة وهناء . وإذا تزوج رجل مخنث بامرأة مسترجلة عاش معها أيضاً فى وفاق . كذلك الشأن إذا تزوجت امرأة تميل إلى القسوة من رجل يميل إلى أن يعامل بقسوة ازدهرت الحياة

بينهما لأن السعادة إرضاء النفس .

وهذه قصة فتاة فى الثامنة والعشرين مطلقة ومخطوبة إلى رجل آخر — تحس بالبرود الجنسى وتميل منذ الطفولة إلى ارتداء ملابس الرجال — وينتابها وجع شديد فى ظهرها مع اضطراب وألم فى نبضات القلب .

وقال لنا تاريخها — بأنها تعودت ارتداء ملابس الذكور منذ السادسة من عمرها بالرغم من معارضة بيئتها فى ذلك الحين لهذا الزى ، فقد كانت ترى أن فى ملابس النساء إذلال لكرامتها كما كانت تميل إلى مشاطرة الذكور فى ألعابهم .

ولم تكن علاقتها بأمها طبيعية فقد كانت تبادلها شعوراً بارداً وكانت كفتاة تتألم من ذلك الشعور البارد وكانت تتودد عبثاً إلى أمها علها تكسب محبتها .

وبلغت السن — ولكن إحساسها فى ذلك الوقت لم يكن إحساس الفتاة العادية — فقد كانت تحمل خجلا إذا تحدثت إليها إحدى الفتيات — وكانت هذه الفتاة على جانب عال من التعليم فقد قرأت الآداب منذ سن مبكرة ، وقرضت الشعر منذ الصغر ولكن أشعارها كانت تميل كلها إلى تمجيد أنوثة المرأة ، وتعرفت إلى بعض الطالبات وهى فى القرية وأحبتهن وقرضت من أجلهن القصائد الطويلة التى تمتدح جمالها . وتقدم إليها الكثير يريدون يدها ولكنها لم تشعر بشىء من الجاذبية نحو أى واحد منهم ،

وتعرفت إلى رجل أحبها وأحبته وتزوجته بالرغم من ثقتها من أن جذوة هذا الحب سوف تنطفىء عن قريب ، ومنذ اليوم الأول لم تشعر بالسعادة وبذلك خيمت سحابة سوداء فوق هذا الزواج ، وكللته بطابع الحزن فراحت تعيش فى همومها وآلامها لقد كانت تأمل أن يفهم الرجل نفسيتها وميولها ويفهم التيارات العاطفية التى تجتازها . أما وقد عجز عن إدراك النواحى النفسية فى أعماقها فقد وجدت فى ذلك ما يبشر بخيبة الأمل . ولم تحس المرأة بالغيرة شأن أى زوجة على رجلها ، بل بالعكس كانت ترى فى ابتعاده عنها ما قد يسعدها ويبعث الهدوء إلى قلبها ، وفى الأيام الأخيرة معه راحت تشعر بوجع عنيف فى ظهرها .

هذه المرأة لها رغبتين متناقضتين فهى تحب زوجها وتكرهه فى وقت واحد وبمرور الزمن برز هذا الانقسام واضحاً فى تكوينها ، وبذلك راحت تعيش بين شخصيتين متناقضتين فهى ترى أن تقبع إلى الهدوء الطبيعى شأن أى امرأة أخرى متزوجة بينما تهدف فى الوقت نفسه إلى إشباع الميل الشاذ الكامن فى قرارة نفسها ، ومن ثم قررت الانفصال عن زوجها حتى ترضى هذا الشذوذ بالرغم من استماتة فى التمسك بها .

وبعد ذلك راحت تعيش حرة تكرس كل وقتها للأدب ، ثم حدث أن قابلت رجلا فناناً راح يتودد إليها ويتقرب لها ويعرض عليها الزواج ، وشجعه على ذلك ما لاقاه من قبول

والديها وتعضيدهما له — فالآباء يرون فى زواج ابنتهم حماية اجتماعية لها ، ولكن هذه الفكرة لم تجد طريقها ، فقد جربت من قبل الزواج الناجم عن حب فلم تجده مستساغا ، فكيف تجد الآن فى هـــذا الزواج المرضى ما قد يساعدها على الحياة ؟! وبذلك ترددت بين قبوله وبين رفضه .

على أن هذا النزاع القوى فى نفسها بين الرغبة والكراهية أعطى فرصة للتيارات الذهنية العنيفة . وبالطبع ازداد الضغط القوى على ذهنها وتعرض كيانها إلى التمزيق وراحت شخصيتها تأخذ إليها لون رجل مرة ولون امرأة مرة أخرى ، فكان يمر بها عهد من الزمن تحس فيه بإحساس الرجل ثم يخلفه عهد آخر فتحس فيه بإحساس المرأة .

ففى الفترة التى تكون شخصيتها (رجل) تكون جامحة . . . ترى فى زوجها كأنه صديقاً لها فلا تميل إلى الاقتراب منه ، وفى الفترة التى تكون شخصيتها المؤنثة طاغية يأخذ الميل العاطفى نحوه أشبه ما يكون بلون الميل الجنسى الشاذ . وفى خلال فترة حياتها كرجل تميل إلى الوحدة ، تلقى بنفسها كلية بين أحضان عملها . ثم يأخذ الوقت فى تمهيد الطريق بالتدريج فى سبيـــل الدخول فى عهد الأنوثة وينتابها فى تلك الفترة شىء من الميل نحو « السادزم » أى الميل نحو القسوة فتتحدث عن كبرياء وتخرج الكلمات من أنفها وبخشونة وتلقى أوامرها فى جفاء .

ولقد أدى الانقسام فى شخصيتها إلى النتائج الآتية :

الحنين القوى للغيبوبة ، وعدم الشعور بالمسئولية ، والرغبة القوية فى التخلص من أحزانها بالانتحار . وهذا أدى بالتالى إلى الكحول كوسيلة من وسائل الهروب ، والكحول أدى إلى الإدمان وأدى هذا الإدمان إلى الانغماس فى شذوذها ، وأدى هذا الشذوذ إلى الانهيار العصبى العنيف .

وحدثتنى عن مغامراتها — فقالت بأنها تعرفت إلى أخت زوجها — فعاشت معها فترة زادت عن عام ، ثم قطعت علاقتها معها عند ما غدرت بها (أخت زوجها) ثم تعرفت على خطيبها كما حدثتنى عن نساء عديدات دخلن حلقة حياتها .

وقالت لى بأن التفكير فى والدها يشغل حيزاً كبيرا من ذهنها — كما قالت لى بأن غرامياتها ومغامراتها لم تنته عنـــد حد . أما الرباط المقدس فهو آخر اعتبار فى نظرها ، ولكنها بالرغم من إيمانها بأنها تجرم فى حق خطيبها وحق الفضيلة وإيمانها بضرورة الإقلاع عن هذه المخازى التى لا يقرها عرف ، بالرغم من ذلك ما زالت ترى نفسها غير قادرة على الانصياع لصوت الضمير .

ولقد أزاح التحليل النفسى الستار عن النقط الآتية :

١ — إن هذه المرأة تغرم بالفتية الصغار ، فهى ترى أن تكوينهم الجسمانى أشبه إلى المرأة منه إلى الرجل ، وإن فى ذلك

التشابه ما يقرب المسافة إلى ذهنها المكدود بالشذوذ الجنسى .

٢ — إن هذه المرأة تحن إلى عهد الطفولة ، ففى وحدتها وهمومها ما يبعد بها عن هذا العالم الناضج ويرنو بها نحو الماضى وفى ذلك ارتداد إلى عهد الطفولة ، فذهنها الحزين يرنو دائماً إلى التطلع الى الوراء .

٣ — كانت وما زالت علاقة خطيبها بأمه سيئة وفى هذه العلاقة السيئة ما كان يحلو لها أن تقف إلى جانب الأم فهى بذلك تأخذ إلى نفسها دور الأم كى تحس بأن خطيبها بمثابة ابنها ، أو بمعنى تريد أن تأخذ إلى نفسها دور الأم التى تهيم بابنها .

٤ — أن هذه المرأة شديدة التعلق بالأم بينما أمها لاتبادلها حباً بحب وقد ارتدت هذه الصورة على نفسيتها فكانت تحب زوجها وتبغضه فى وقت واحد — تحبه كاستجابة لعواطف حبها لأمها — وتكرهه لأنها تكره أمها (وكراهيتها لأمها نتيجة اعتقادها أن أمها تكرهها) .

٥ — أن هذه الفتاة شديدة التعلق بأبيها وقد ارتد ذلك الميل على نفسيتها فباتت شديدة التعلق بكل ما هو شبيه بأبيها فكانت تحب خطيبها لأنه قريب الشبه بأبيها وكانت تبتعد منه (من خطيبها) لأنها لا تحبه .

٦ — أن هذه الفتاة مصابة بالشذوذ الجنسى — وهذا

الشذوذ هو الذى نفرها من زوجها — على أن حدة هذا النفور قد بردت نوعاً عند ما حدث وتعرفت إلى أخت زوجها — فقد أحبت زوجها فى ذلك الحين — لأنه يمثل قرب المودة بين هذه الفتاة المريضة وبين أخت زوجها .

٧ — أن وجع الظهر الذى كانت تحس به — إنما مظهر نفسانى نتيجة تفاعل هذه الإحساسات مع بعض وتضاربها — فهو بمثابة احتجاج من ضميرها على تصرفاتها وهو أيضاً بمثابة احتجاج نفسها عليها .

التهيج النفسى

من المعروف أن الانفعالات رد فعل لما يخالج النفس فأنا إذا أحببت امرأة تفانيت فى إرضائها فأتودد إليها وأتقرب منها باذلال كل ما فى طاقتى لاسعادها . وبقدر حبى لها بقدر إخلاصى فى إرضائها وأنا مهما حولت أن أخفى ذلك الحب فى أعماقى تفضحنى تصرفاتى . ولذلك قيـــل « والصب تفضحه العيون » . على أنه أحياناً تلجأ النفس إلى طريقة ملتوية لتخفى كنة ذلك الحب أو تخفى ما تكنه من بغض . فأنت إذا زارك عدوك بالغت فى إكرامه وبالغت فى إرضائه . هذه المبالغة فى الكرم والإرضاء . مبالغة تصنيعية فهى بمثابة ستار — الغرض منه إخفاء السجية الطبيعية فالتهور نوع من الجبن — والمبالغة فى الكرم نوع من البخل فالذى يبسط يده كل البسط شأن الذى يغلها إلى صدره — كلاهما غير محبوب — والجبان إذا ملك تحكم — والمبالغة فى الكراهية هى فى الواقع نتيجة الحب . وأنا أحب هذه المرأة ولكنها لا تبادلنى حباً بحب فأكرهها لأنها لم تقم وزناً لحبى .

جاءنى رجل مضطرب النفس .. وراح يحدثنى عن نفسه وعن القلق والتوتر العصبى الذى يعانيه — واستدرجته فى الحديث ففهمت منه بأنه كان متزوجاً امرأة جميـــلة طلقها

منذ أشهر — فلما عرضت عليه رغبتى فى أن أقابل مطلقته حتى إزداد علماً بشخصيته — رفض فى لهفة قائلا بأنها جميلة ومغرية وقد يكون فى هذه المقابلة ما يوقعنى فى غرامها — عندئذ تأكد أن سبب اضطراب هذا الرجل خلافه مع زوجته فهو يكن لها ميلا جنسياً دفيناً — مما خلق عنده اضطراباً عنيفاً — فنصحت له أن يصلحها .

والقسوة رمز للعطف حتى يخفى الإنسان ما يخالجه من شعور فلا يفضح نفسه — ومن هنا قال الشاعر :

فقسا ايزد جروا ومن يك راحماً   فليقس أحياناً على من يرحم

فالقسوة الجنسية رمز للحب ، ولقد قيل (ضرب الحبيب مثل أكل الزبيب ، ويغضبن كثيرات من صديقاتهن إذا تدخلن بينهن وبين أزواجهن ليمنعن عنهن ضراً — أو ليتدخلن فيصلحن بين الزوج وزوجته فالرجل الذى يضرب زوجته لا يكون معنى ذلك أن هذا الرجل يبغض زوجته ، ولقد حدثتنا كتب القسوة الجنسية عن مدى تعذيب الإنسان لحبيبته حتى يصل أحياناً حد قتلها — فالكونت دى ساد — كان لا يثور فيه الميل الجنسى حتى يقتل شريكته ،وعلى مشهد الدماء السائلة كان يشبع ميوله الجنسية وكانت وسيلته إستدراج النساء الفاتنات حتى يأنسن إليه فينهال عليهن طعناً بالسكين ، وبذلك يشبع ميله الجنسى ، وكما يقال عن رجال لا يثور فيهن الميل الجنسى إلا بالدماء ، يقال كذلك عن النساء فمنهن من بلغت القسوة فيهن حداً كبيراً ، وكذلك

هناك من الرجال من هم عكس ذلك تماما فلا يثور عندهم الميل
الجنسى إلا إذا عوملوا بقسوة، و بقدر هذه القسوة قدر الحب.

حدثنا كرافت ايبنج عن رجل كان يذهب إلى محلات الدعارة ويأخذ معه سكيناً ويطلب من المرأة التى يختارها أن تقطع جلد جسمه كله بالسكين حتى يتمزق وتخر منه الدماء بغزارة وكانت النساء يرفض ذلك الطلب خشية أن يقعن تحت طائلة القانون كما كان يأخذ معه قطعاً من زجاج ويطلب من النساء أن يمزقن جسده بذلك الزجاج ، وقد أخذ معه مرة مسماراً وطلب من امرأة إختارها أن تفقأ عينه مقابل أن يعطيها مبلغاً كبيراً من المال ، ولكنها ترددت إلا أنه ألح عليها ففعلت ما أراد.

وأن من الرجال من يعمدوا إلى إيذاء أنفسهم فيقطعوا أجسادهم بأيديهم حتى يثور الميل فيهم ، وأن كتب القسوة مليئة بالأحداث الغريبة التى تصل إلى مرتبة الخيال ، والسؤال الذى تسأله هو . هل هؤلاء الذين يميلون إلى القسوة . هل هم أنفسهم قساة أم أن هذه القسوة بمثابة طلاء يحجب وراءه نفسية أخرى تختلف كل الإختلاف عن الحقيقة البارزة أمام المجتمع ؟ ! ...

أن القسوة الجنسية مظهر من مظاهر الطفولة التى ارتدت على الكبر فلا بد أنك واجد فى حياة المريض شرخاً أدى إلى القسوة . فهى غطاء يخفى تحته العفونة الجنسية ، وأن كثيراً من المجرمين الذين يظهرون أمام المجتمع إنما يطوون بين ضلوعهم

إلى الجريمة .

حدث فى إحدى القرى الريفية أن تزوج رجل امرأة فلم يتمكن من القيام بواجباته الزوجية كما تفرضها الطبيعة فراحت تعيره بنقصه فثارت فيه عوامل الغيظ فقطعها إرباً بسكين ، ثم مزق جسدها قطعاً ثم ألقى به إلى النار حتى أكلته .

وحدث أن احتالت امرأة مسنة على فتى صغير وفى اليوم التالى ثارت فيه عوامل الكبرياء فأخذ معه سكيناً وذهب إليها فاستقبلته ببشاشة ظانة بأنه جاء يبادلها الحب ولكنه قابلها بطعنات الحادة . ثم جلس يعرف من دمها ـــ وأن الإنسان ليعجز فى الحكم على هذا الفتى هل هو مجرم ؟! . . وأن ما فعله يؤاخذ عليه ؟ ! . . أم أن جريمته جاءت نتيجة الثورة النفسية والدفاع عن العرض ؟ ! . . . أن القضاء يختلف لأن الجريمة وقعت نتيجة سبق الإصرار .

ولقد قال لى شاب أصيب بمرض سرى أنه تعمد أن ينقل العدوى إلى عشرات من النساء وكان شعوره بنجاح الإصابة ما يشبع طابع الإنتقام لنفسه ويشبع بهم القسوة ويقنعه بأن له مقدرة على إذلال المرأة . وكان يلذ له كثيراً أن يعرف نتيجة عدواه لهن ومدى أثرها على علاقة ضحاياه بأزواجهن وخراب بيوتهن ـــ وكم كانت دهشته كبيرة عندما يرى النساء اللاتى

هناك من الرجال من هم عكس ذلك تماما فلا يثور فيهم الميل الجنسى إلا إذا عوملوا بقسوة، و بقدر هذه القسوة قدر الحب.

حدثنا كرافت ايبنج عن رجل كان يذهب إلى محلات الدعارة ويأخذ معه سكيناً ويطلب من المرأة التى يختارها أن تقطع جلد جسمه كله بالسكين حتى يتمزق وتخر منه الدماء بغزارة وكانت النساء يرفض ذلك الطلب خشية أن يقعن تحت طائلة القانون كما كان يأخذ معه قطعاً من زجاج ويطلب من النساء أن يمزقن جسده بذلك الزجاج ، وقد أخذ معه مرة مسماراً وطلب من امرأة إختارها أن تفقأ عينه مقابل أن يعطيها مبلغاً كبيراً من المال ، ولكنها ترددت إلا أنه ألح عليها ففعلت ما أراد .

وأن من الرجال من يعمدوا إلى إيذاء أنفسهم فيقطعوا أجسادهم بأيديهم حتى يثور الميل فيهم ، وأن كتب القسوة مليئة بالأحداث الغريبة التى تصل إلى مرتبة الخيال ، والسؤال الذى تسأله هو . هل هؤلاء الذين يميلون إلى القسوة . هل هم أنفسهم قساة أم أن هذه القسوة بمثابة طلاء يحجب وراءه نفسية أخرى تختلف كل الإختلاف عن الحقيقة البارزة أمام المجتمع ؟ ! . . .

أن القسوة الجنسية مظهر من مظاهر الطفولة التى ارتدت على الكبر فلا بد أنك واجد فى حياة المريض شرخاً أدى إلى القسوة . فهى غطاء يخفى تحته العفونة الخنسية ، وأن كثيراً من المجرمين الذين يظهرون أمام المجتمع إنما يطوون بين ضلوعهم

إلى الجريمة .

حدث فى إحدى القرى الريفية أن تزوج رجل امرأة فلم يتمكن من القيام بواجباته الزوجية كما تفرضها الطبيعة فراحت تعيره بنقصه فثارت فيه عوامل الغيظ فقطعها إرباً بسكين ، ثم مزق جسدها قطعاً ثم ألقى به إلى النار حتى أكلته .

وحدث أن احتالت امرأة مسنة على فتى صغير وفى اليوم التالى ثارت فيه عوامل الكبرياء فأخذ معه سكيناً وذهب إليها فاستقبلته ببشاشة ظانة بأنه جاء يبادلها الحب ولكنه قابلها بطعنا نه الحادة . ثم جلس يعرف من دمها ــ وأن الإنسان ليعجز فى الحكم على هذا الفتى هل هو مجرم ؟! . . . وأن ما فعله يؤاخذ عليه ؟ ! . . أم أن جريمته جاءت نتيجة الثورة النفسية والدفاع عن العرض ؟ ! . . . أن القضاء يختلف لأن الجريمة وقعت نتيجة سبق الإصرار .

ولقد قال لى شاب أصيب بمرض سرى أنه تعمد أن ينقل العدوى إلى عشرات من النساء وكان شعوره بنجاح الإصابة ما يشبع طابع الإنتقام لنفسه ويشبع بهم القسوة ويقنعه بأن له مقدرة على إذلال المرأة . وكان يلذ له كثيراً أن يعرف نتيجة عدواه لهن ومدى أثرها على علاقة ضحاياه بأزواجهن وخراب بيوتهن ــ وكم كانت دهشته كبيرة عندما يرى النساء اللاتى

اذهن برضه يصبحن عبيدات له ـــ وكان يفرح عندما يعرف أن نتيجة هـــذه العدوى لهن أدت إلى طلاقهن من أزواجهن وخراب بيوتهن ـــ وكان يرى أن كل امرأة عاهر لا كرامة لها فلا يجب أن يقيم وزنا لشعورها ـــ ولقد عاش هائماً فى بحور الفجر والجريمة فلم يستيقظ ضميره إلا بعد أن انتحرت إحدى ضحاياه فانقلب بعد ذلك إلى حمل وديع ـــ إن قسوة هذا الرجل مردها أزمة نفسية ولقد دلتنا التجارب أن كثيراً من مرضى القسوة سرعان ما تثوب ضمائرهم وتخور قواهم لأسباب طفيفة .

تعود شاب زيارة حى العاهرات وكان يحس بالحقد الشديد عليهن ، فإذا اختلى بواحدة ثارت فيه روح الكبرياء وراح يؤنبها ويؤاخذها على عملها البذىء ـــ ثم إزدادت حالته شدة فكان يعتدى عليهن بالسباب ثم حدث أنه ثار مرة فصفع واحدة فاستغاثت وحضرت زميلاتها على الأثر ولما رأى حرج مركزه راح يعتذر ويطلب الصفح إلا أنهن صممن على الذهاب معه إلى البوليس فازداد توسلا لهن ـــ ولم يتركنه إلا بعد جهد ـــ ومن هنا نبتت فى ذهنه فكرة الخنوع بعد القسوة فكان إذا قابل واحدة بعد ذلك سرعان ما يلين لها ويعاملها بأدب واحترام كبيرين شأن العبد الذليل .

هذه الأمثلة ترينا كيف نبتت القسوة من الحب ـ فالإنسان

الذى انحرف به الطريق ليقتل عشيقته أو حبيبته إنما يضمر لها أعلى مراتب الحب . وأن هذه العقد النفسية التى تدفع الإنسان إلى القسوة وتبعث على الإحساس بالضعف إنما مردها الماضى منبعها الصغر ففى أرض الطفولة انغرست الحبة التى أصبحت فيما بعد شجرة يانعة .

وقد تعمد النفس إلى وسائل أخرى لتتخذ منها ستاراً تختفى حقيقتها ـ فمثلا المبالغة فى الميل الجنسى العنيف مظهر من المظاهر الطبيعية، ولكنه قد يخفى أحياناً شذوذاً جنسيا مقنعاً . فالرجل الذى تخلبه النساء يرتمى كل ليلة بين أحضان امرأة ـــ مثل هذا الرجل. قد يقال عنه ، أنه عادى ولكنه يعانى كبتاً جنسياً عنيفاً .

حدثنى رجل بأنه «زير نساء» لا يكاد يعرف امرأة ويقضى معها وقتاً حتى يتركها إلى البحث عن أخرى ، وهو يرى دائما فى كل امرأة فتنة فيتردد بين الكثيرات دون أن يشبع أو يستقر ، وهو دائب البحث عن المرأة أشبه بدون جوان يحمل قلبه فى يمينه فيهبه لعديد النسوة اللاتى يقابلهن ثم يتركهن بحثا عن أخريات ، والسر فى ذلك أن هذا الشاب مصاب بعقدة فى نفسه ، ففى عقله الباطن عاشت امرأة مثالية كما تعيش على سطح القمر . فهى إله حبه الذى يرجوها قلبه

ويرجو أن يشبع نفسه منها ولكن هذا الإله لا يمكن الوصول إليه، فراح الرجل ينتقل بين النساء العديدات علّه يأنس بإحداهن مثله الأعلى ، فلما لم يقدر على النسيان ولم يجد الحب الذى يريد أن يرتوى منه ضرب الأرض بعصاه وسار وراء قلبه بحثا عن ضالته . فكان كما رأيت ما أن يجد امرأة حتى يقترب منها فلما لا يجد فيها ما يشبع قلبه تركها بحثا عن ضالته .

وكما أن من الرجال من هم مرضى بهذ المثل الحائر فى القمر كذلك من النساء من هن مريضات برجل خيالى يعيش فى ذهنهن فيضربن فى الأرض بحثا عن ضلالهن — حدثتنى امرأة صارخة الجمال ، فقالت بأنها متزوجة من رجل له قيمته فى الهيئة الاجتماعية وهى تحبه ولكنها لا تعرف معنى الإخلاص الجنسى فهى سهلة السقوط لأى إغراء بسيط من أى رجل — أنها امرأة لا تعرف كلمة « لا » ويعبدها زوجها ويثق فيها ثقة عمياء ، ولا يشك أبداً بأنها تخونه ، ومن أجل هذه الثقة أعطاها الكثير من الحرية ، وتحت ستار هذه الحرية وهذه الثقة العمياء راحت تشبع جنونها الجنسى ، وقد يستيقظ ضميرها لفترة ضئيلة من الزمن ليؤنبها على سلوكها الشاذ ولكن سرعان ما يخفت صوت الضمير ليختفى إلى الأبد وتعود إلى الشره الجنسى الذى لا يريد أن يشبع .

وفهمت من تاريخ حياتها بأن طفولتها كانت منحلة ففى سن الثامنة كانت تداعب أخيها الذى كن يكبرها بعامين لتمثل معه مسرحية الزوجة والزوج ، ثم ما لبثت أن تعرفت على الفتية الذين يسكنون معها الدار واستمرت صلة الأطفال فى الخفاء وقد أضاعت الجوهرة الثمينة وهى فى السادسة عشر ، ثم بعد ذلك وجدت التيار الجارف يدفعها نحو الهاوية وسرعان ما وجدت الطريق معبداً ، فالجميع يتمنون لقاءها ويمدون لها أياديهم فلم تبخل بشىء من عفافها عليهم ، وتزوجت فى الـ ٢٠ ومن اليوم الأول لم يكن فى ذهنها نية الإخلاص للرجل الجديد ولقد شعرت بفترة من الحزن فقد ظنت أن الخطوبة والزواج يستلزمانها الإخلاص والوفاء ، ومن ثم خافت أن تجد فى العهد الجديد الحرمان الجنسى من الرجال الآخرين العابدين الذين خلقهم الله فى أرضه ، ولكن هذا الخاطر سرعان ما تبدد عندما عرفت كيف توفق بين الزواج وقيوده وبين العبث والمغازلة فى الحياة الحرة ، فبعد زواجها بثلاثة أيام وصل إلى علمها أن أحد الأطباء « زير نساء » فسرعان ما ادعت المرض وفى الزيارة الأولى لهذا الطبيب وبعد دقائق من الكشف كانت المرأة ترتمى بين أحضانه بينما كان زوجها الأبله يجلس فى خارج الحجرة بانتظارها ، وظلت فترة من الزمن وهى عشيقة هـذا الطبيب ثم انتقلت منه إلى آخر وثالث ورابع ... وهكذا صارت تتنقل بين الرجال كما تتنقل النحلة بين الأزهار وكانت خلال ذلك فريسة الضمير الثائر الغاضب من

أجلها فقد عز ضميرها أن يراها ترتمى فى الوحل دون ن تقيم وزناً للكرامة فكان يؤنبها ويثور عليها . ولكنها كانت تنتحل لنفسها الأعذار وتزعم أن هذه المرة التى تقدم عليها للشرب من الإناء المحرم هى المرة الأخيرة فى حياة المجون لتعود بعدها نقية صالحة ، على أن هذه الجرائم لاتلبث أن تجـــر وراءها جرائم أخرى، وكان عشاقها من الرجال الذين لهم حيثية فى الهيئة الاجتماعية أما الجماعات الدنيا وحثالة الرجال فكانت تأنف منهم — كما كانت ترفض تناول المال أو الهدايا لأن فى قبولها النقود مايسقط بها إلى مصاف العاهرات بينما هى سيدة محترمة — وقد أصيبت مرة بمرض سرى — فاعتزمت أن تنتقم من كل رجل تقابله، ولكنها لم لم تنفذ رغبتها لأن الطبيب المعالج حذرها من الاقتراب من أى رجل حتى لاتوقف سير العلاج — وطلبت منى أن أنومها تنويما مغناطيسيا وأوحى إلى ذهنها بالابتعاد عن الرجال .

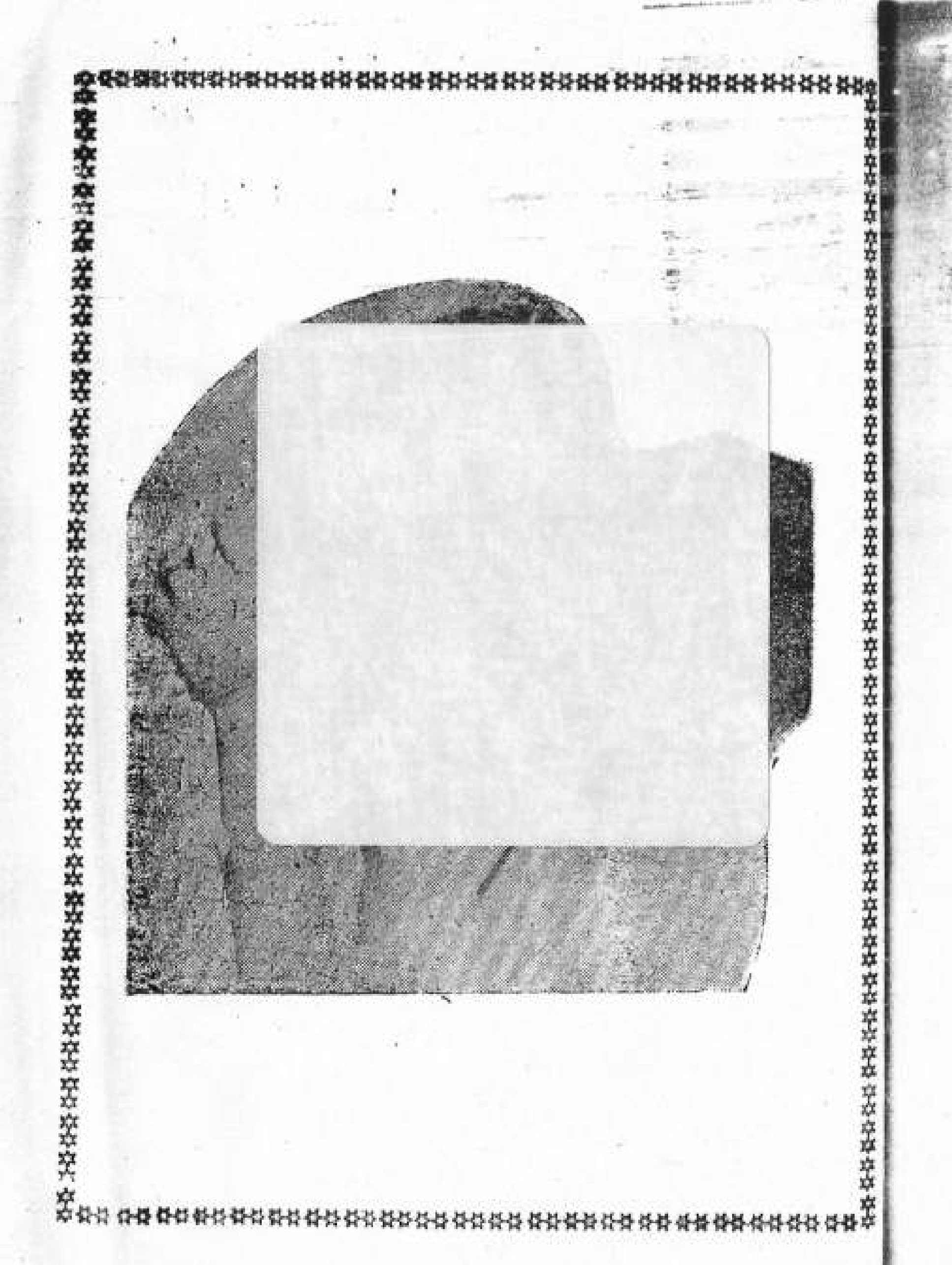
وعلمت من حديثها أن لها أخت متزوجة .

— فسألتها : أو لم تحاولى أن تجذبى زوج أختك إليك .

— قالت: إنى أحب أختى حباً جما — وبالرغم من استلطاف زوج أختى لى إلا أنى لم أحاول أبداً أن أعطى له فرصة الاقتراب منى وأعتقد أنه من العار أن يكون بيننا شيئاً .

— وما علاقتك بأختك ؟

— أنها فتاة لطيفة ومهذبة وعندما أكون معها وحدى أشعر



كأنى قد نسيت كل الرجال واعتقد أنك لو قابلتها فلا شك ستأثرك بجمالها ورقتها وبحلاوة حديثها :

أن الإنسان عندما يسمع أطناباً من شخص على آخر لاشك أن مرد هذا الاطناب صدى لما يختلج فى النفس فالمدح هنا معناه أن هذا الشخص الذى يمتدح إنما يتحدث عن شعوره فهو إذا اعتقد أن آخرا سيقع فى حب من يمدحه إنما يتحدث عن نفسه — لأنه يحبه فيظن العالم كله يحبه مثله .

وأذكر بهـــذه المناسبة أنى كنت أعالج امرأة اختلفت مع زوجها وطالبته بالطلاق وراحت تستعد للزواج من آخر ، وفى معرض الحديث راحت تمتدح طليقها ، ففهمت على الفور بأن هذه المرأة تتكلم بلسانها وتراه بمنظارها فاعتقدت أن كل الناس تنظر إليه خلال الضوء الذى تسلطه عليه ، ومن ثم تمكنت من أن أعرف سبب القلق الذى ألم بها — أعنى الحب المكبوت فى قرارة نفسها نحو زوجها القديم والعنـــاد الذى تندفع فيه على حساب أعصابها .

وفى حديثى مع الفتاة عن علاقتها بأختها تمكنت أن أدرك مغزى الأفكار الكامنة التى كانت تعيش فى قرارتها . فقد كانت هذه المريضة ترى أختها بين حالقة النور حتى خلبتها لبها ، كانت ترى فيها مثلا أعلا لها فقد تعلقت بها تعلقا شديدا حتى بات من العسير عليها التخلص من ذلك التعلق . فقد نبتت وشبت معها

فى سرير واحد ، فالحب القوى بينهما كان من نبت الماضى تعيش جزوعه فى أعماقها — هذا التعلق الشديد بأختها كان له أكبر الأثر على نفسيتها فراحت تلقى بنفسها بين أحضان الرجال كوسيلة للتخلص من هذا الحب بأختها ، فكأن هذا الهوس الجنسى الذى تعيش بين جنونه نتيجة الكبت الجنسى العنيف الذى تعانيه — أو بمعنى آخر نتيجة عقدة أوديب أعنى عقدة التعلق بأحد أفراد العائلة .

لو جاز لك أن تقع فى حب امرأة ثم لاتبادلك حباً بحب أو أنها ضنت عليك فإن شغفك سيزداد لها ، وبقدر حرمانك منها يزداد تعلقك بها ، فإذا وجدت أن مرت بك فى حياتك امرأة تشبهها فى الوجه فستحب هذه الجديدة لأنه يبعث إليك بذكريات المحبوبة الأصلية ، فإذا مرت بك امرأة ثالثة تشبهها فى تكوين الجسم فستحبها أيضاً لأن فيها شبه بالأولى أيضاً ، وإذا مرت بك رابعة تشبه الأولى فى الحديث والفكر فستغرم بها . . . ، وهكذا كلما مرت بك امرأة بها ولو قليل من أوجه الشبه بصديقتك الأولى تنال منك القبول . فى الواقع أنت لم تحب هاتيك النسوة وإنما أنت تحب امرأة واحدة هى الأولى التى خلبتك اللب ، وما هاتيك النسوة بمجتمعات إلا عبارة عن امرأة واحدة بمثابة بديل لحبيبتك الأصلية .

حدثنى شاب عن نفسه مريض بالشره الجنسى وقال لى أن

كل امرأة تأخذ فى ذهنه مكانا ولا هم له إلا البحث عن النساء وكان نتيجة ذلك الجنون الجنسى أن تأخر فى عمله وفى إنتاجه وترقياته وراحت تهدده الإدارة التى يعمل بها بالفصل، كما اعتلت صحته وبات أقرب إلى الشبه بالمريض بالسل، ولقد طلب منى أن أنومه مغناطيسيا وأوحى إليه بكراهية النساء.

هذا الشاب أشبه بدون جوان — فدون جوان رجلا حمل قلبه بين يديه وراح يقدمه إلى كل امرأة تقابله — دون اعتبار إلى مركزها الأدبى ودون اعتبار إلى جمالها — فالمرأة فى نظره امرأة تشغل من ذهنه حيزا .. ويعتقد البعض أن دون جوان عاش شبيها بالطائرة ينثر الحب فى كل مكان يقابله ولكن الواقع هو أن دون جوان عاش بلا عش فهو كالطائر الذى فقد عشه فراح يحلق فى السماء فإذا رأى وكرا حط عليه ولكنه سرعان ما يكتشف أنه ليس فيه شيئا فلا يلبث أن يهجره بقلب حزين — أن دون جوان يحمل فى ذهنه امرأة خاصة وهو دائب البحث عنها دائب الترحال من أجلها فإذا قابلته نساء عديدات تفرس فيهن فإذا لم يجد بينهن ضالته تركها ورحل — كذلك الشأن فى هذا الشاب المريض أنه دائب البحث عن امرأة تعيش فى ذهنه وامرأة بالذات فإذا قابل واحدة عرج عليها ليرى هل هى التى ينشدها ثم يتركها ويرحل إلى حال سبيله للبحث عن امرأته.

حدثنى تاريخ هذا الشاب بأنه كان يعيش فى طفولته بين

أحضان أمه فكانت ترعاه وتهتم به فلما بلغ السن قابل امرأة عرضا من بنات الشوارع وهام بها حبا وأراد الزواج منها — ولكن أمه وقفت فى طريقه واعترضت عليه أن يبنى بامرأة لا تناسب كرامته ولكنه غضب وأصر على الزواج على أنه لم يتمكن من إتمام فكرته لاعتماده ماديا على أمه — وكانت النتيجة أن أصيب بصدمة فتركته الفتاة وثارت نفسه على أمه لوقوفها فى طريق سعادته فهجر دارها وراح يعيش فى خصام بعيدا عنها — وحاولت أمه أن تسترضيه فقد كان وحيدها ولكنه أنف العودة وأخذته عزة الكبرياء وظل فى خلافه معها واضطرته لقمة العيش لقطع دراسته وقبول وظيفة صغيرة بإحدى الشركات وكان فى شظف الحياة معه وفى التعب الذى يلاقيه فى الحصول على الحياة ما زاده مقتا على أمه، فقد رسخ فى ذهنه أن أمه سبب نكبته وبذلك تعمقت الكراهية فى قلبه ولم يعمر هذا الحب طويلا فى قلبه فسرعان ما هجر فتاته هذه كما هجر الأخرى من قبل وراح يعيش طليقا يعطى قلبه لكل فتاة يقابلها ثم ساءت حالته وحل به الاضطراب.

هذا الفتى يحب أمه حب العبادة فهى ترسخ فى قرارة ذهنه صورة مثالية للكمال الذى يشع النور — أما خصامه معها فرده الحب الشديد فهذه الكراهية التى يظهرها لأمه إنما هى عربون الحب القوى فهو شديد التعلق بها ولكنه اتخذ من الكراهية سياجا يحول به دون الإقدام نحوها وكان حبه للمرأة الدانسة

بمثابة تهديد لأمه واحتجاج عليها فكأنه يشك فى حب أمه له ـ وكأنه يريد أن يغيظها بحبه لامرأة من عرض الشارع حتى ترضخ له ـ فحبه لبنات الشوارع لغة تحمل معنى الإنذار لأمه أما ارتمائه بعد ذلك فى أحضان النساء الأخريات فالغرض منه كى ينسى حبه العميق لأمه .

وتحدث عن أمه فقال بأنها مخطئة فى زواجها من رجل آخر بعد وفاة أبيه ـ وكان يجب عليها ان تحافظ على قداسة أبيه فلا تمرغ نفسها على التراب وتدوس على كبريائه وكبرياء أبيه بزواج خاطف خصوصا وأن زوج امه من بيئة أقل فى اعتبارها من بيئة أبيه ـ فلما أفهمته بأن زواجها شرعا وأن التقاليد والأديان تبيح زواج الأرمل أبى الاقتناع بما أقول .

هذه القصة صورة ناطقة لعقدة أوديب أو بمعنى آخر عقدة التعلق بالأم ـ ففى ذهن الطفل الصغير كانت أمه كل شىء ـ وكان ينافسه فيها أبوه ، وكان يجد الطفل فى شجار أمه مع أبيه متعة وراحة ـ فقد فسر له ذلك الشجار بأن عواطف أمه كلها بعيدة عن أبيه وأنها له ـ فلما مات الوالد وأصبح الولد وحيدها وجد فى ذلك فرحة الأمل من أن أمه هى كل شىء له ـ ولكن هذا الأمل سرعان ماخبا بزواج أمه فقد تأكد أنها لاتكن له الإخلاص فخاصمها وكرهها وابتعد عنها وراح يضرب فى الأرض بحثاً عن امرأة شبيهة لها لتشبع عواطفه فكان يرمى بنفسه بين

أحضان أول امرأة تقابله ظانا أن عواطفه قد تجد استجابة إليها ولكن سرعان مايخف الحب لأن المرأة التى معه عجزت عن إشباع عواطفه فيتركها إلى ثانية ثم إلى ثالثة ورابعة وهكذا . . . وهو فى سيره وتسياره أشبه بالتائه الذى يضرب فى صحراء فيبدو السراب أمامه لونا براقا يجذبه فإذا أتاه لم يجده شيئاً فجلس آسفا حزينا ـ فهو يبحث عن امرأة وامرأة بالذات ـ وهى أمه ... فكأن النفس عمدت فى هذه القصة إلى أن تظهر هذا الشاب فى مظهر المتتبع خطا النساء الباحث عنهن لتخفى حقيقة الواقع وهو الحب العميق للأم ـ وزادت إمعانا فى ذلك لتخفى فغطت هذا الحب بسياج من الكراهية للأم حتى بدت الحقيقة أبعد الأمور إلى ذهن هذا المريض .

وقد تعمد النفس فى حالات الكبت الشديد إلى التفريج عن رغباتها بالبحث عن منفذ ـ فمثلا المصاب بعقدة أوديب الشديد التعلق بأمه ـ تحاول النفس أن تقرب له امرأة فيها شبه من أمه كتعويض ـ وفى هذا ما يفسر لنا حب كثير من الشاب فى الزواج بنساء أكبر منهن سنا أو يتعرفوا بنساء متزوجات ولهن أولاد ـ فالمرأة فى هذه الحالة تكون بمثابة الأم وأولادها بمثابة الإخوة وزوجها بمثابة الأب ـ وفى كثير من الصدمات العصبية تتسامى النفس عندما تعجز فى الوصول إلى أغراضها ـ تتسامى فتتجه ناحية الفنون كالشعر والموسيقى

و[illegible] الخ وأنت إذا تتبعت حياة الكتاب والروائيين والفنانين وجدت قصة دامية فترفع النفس إلى المصاف الفلسفية فتزهد فى الحياة وتترفع عن توافه الأمور — وتعيش فى قناعة — ولكن تحت هذا التسامى أو الزهد أو القناعة — نفس مصدومة عجزت عن إشباع مآربها فراحت تعيش فى رهبنة — وأنت إذا أزحت الستار عن حياة هؤلاء المتصوفين وجدت فى أعماقهم شرخا نفسيا غائرا فى صلب حياتهم .

الانحرافات الجنسية

إن الكبت هو مرد جميع الانحرافات الجنسية — فالكبت أشبه بإناء محكم الغلق مملوء بالماء ومن تحته نار — فإذا لم يجد مخرجا انفجر — أو أشبه بماء يجرى فى قناة أصابها العطب فانسدت فى مجراها — فيطفح الماء على السطح ويغمر المكان — فإذا لم تجد الحياة الطبيعية مجراها السليم انحرفت الآية وأتت نتائج عكسية — فإذا بلغ الشاب السن وقيل له بأن النساء مجلبة للأمراض السرية ومضيعة للنقود والمال — انحرف به الطريق إلى العادة السرية وراح يمارسها — فإذا قيل له أيضا بأن هذه العادة إثم وشر تؤدى بصاحبها إلى السل والجنون أقلع عنها ليسلك الطريق نحو الشذوذ — فإذا قيل له أيضاً بأن الشذوذ مرض إجتماعى خطير يجرد صاحبه من عوامل الرجولة ويؤدى إلى التدهور الخلقى والاجتماعى والمعنوى أقلع عنه — ولكن سرعان ما يصاب بنكسة تؤدى إلى التوتر العصبى والانهيار النفسى ويجب عليك عندما تهدف إلى نصيحة مريضك — يجب ألا تخيفه من شرور الأمراض التى يتعرض لها دون أن ترشده الطريق السليم — وإلا كان شأنك شأن الذى يحذر الناس من استنشاق الهواء لامتلائه بجراثيم السل أو الغازات السامة فالحقيقة العلمية تدعو هؤلاء الذين يمتنعون عن مزاولة رذائلهم أن يقدموا العلاج

لأن النصيحة دون علاج قد تزيد المريض تمسكا بدائه كالطفل الذى يعبث بكوبة من الزجاج ويصر على التمسك بها عندما تلح عليه فى أخذها من يده حتى لا تسقط منه وتتحطم فكأنك بوسيلتك هذه تزيده عنادا فى التشبث برأيه والأولى أن تقدم له كوبة أخرى كبديل للكوبة التى تريد أخذها منه والضرب على ذهن المريض قد ينقلب إلى عكس الغاية المقصودة .

فالمصاب بالشذوذ الجنسى الذى تعمق به المرض - لا يجدى فيه النصح - بل بالعكس قد يزيده حدة فيتمادى فى دائه .

ومرد الانحرافات الكبت ، ومرد الكبت العوامل العديدة التى رسخت فى عهد الطفولة .

قال لى مريض بالشذوذ الجنسى - أنه إذا تعرف إلى امرأة انتابه قلق شديد وعصبية - أما إذا تعرف إلى شاب فلا يحس بشىء من هذا القلق وهذه العصبية وأظهر لنا التحليل النفسى أن حياة هذا المريض كانت عادية حتى تدخلت أمه فراحت تخوفه من ضرر الاقتراب من النساء عن الأمراض السرية التى تصاحب معرفة النساء ، وبذلك سلطت إيحاءا قويا على ذهنه - ومن أجل ذلك راح يعبث به القلق والاضطراب كلما اقترب من المرأة وجاءنى مريض آخر وحدثنى عن مخاوفه من النساء ومن أجل ذلك فهو يخشى الاقتراب منهن ويفضل معرفة الذكور .

ففى علاج الانحرافات يجب الرجوع دائما إلى حياة المريض

للبحث عن العوامل التى أدت إلى الحالة المرضية أو بمعنى آخر لإزاحة الحجرة الثقيلة التى تقف أمام الباب النفسى وتسد المسالك الطبيعية ، أما الاعتماد على النصح وحده فعلاج مؤقت وشأنه شأن المريض المصاب بالإمساك الذى يشعر بصداع من جراء هذا الإمساك لا يكون علاجه بتعاطى الأسبرين ، لأن الأسبرين يخدر لفترة ، فإذا ذهب مفعوله عاد الصداع إلى أشده ، والعلاج الطبيعى هو البحث فى منبع الداء نفسه فتعطى المريض مليناً لنزيل ما به من إمساك ، كذلك الشأن فى الصداع المسبب عن ضغط الدم لا يكون علاجه بالأسبرين ، وإنما بالبحث عن العلة الأساسية التى أدت إلى الضغط ، فإذا نزل الضغط وزال الصداع تحسنت صحته ، وليس علاج صداع المريض الذى انقطع عن أخذ المخدر ليس علاجه بإعطائه ما يريد من المخدرات لأن استمرار تناول المخدرات سيؤدى بالتدريج إلى زيادة الكميات اللازمة حتى يحصل المفعول فى الدم ، ويستدعى علاج الانحرافات إلى البحث فى جعبة المريض عن العوامل التى أدت إلى النكسات النفسية .

ولفتة ثمة أخرى ونحن بصدد المرض والعلاج ، نجد أن لكل فعل رد فعل فيجب الحذر حتى لا يخرج المصاب بالشذوذ من دائه بأنفه ويلقى بنفسه بين أحضان النساء فى جنون كدفع للذلة ومركب النقص وليثبت لنفسه أن عوامل الرجولة التى

عن أنه افتقدها ، ما زالت حية وأن الكبرياء النفسى ما زال يملأ
قلبه ، وأن لا أثر عنده للخدش الذى جرح كرامته يوماً عند ما
كان مريضاً بالشذوذ . فكأننا إذاً لم نقدم شيئاً للمريض اللهم
إلا أننا أخرجناه من مصيبة لنلقى به فى داهية . فالمنحرف ناحية
الشذوذ شأنه شأن الأبله الذى يعيش عبد الغوانى .

حدثنى مريض عن حياته — فقال بأنه كان دائب البحث
عن المرأة ، دائب السعى وراءها . ولقد بلغ شغفه بالنساء حداً
كبيراً . وبالبحث عن حياته الماضية وجدنا فيه شرخاً ، فقد كان
مريضاً بالشذوذ الجنسى وكان حذراً فى تنكره حتى لا يعرفه أحداً
فكان إذا أرخى الليل سدوله غير ملابسه وغير سحنته ، وراح
يتنقل بين الأركان المظلمة بحثاً وراء الضلال ، دون أن يعطى أحداً
من أصدقائه الشواذ فرصة التعرف على حقيقة شخصيته ، فإذا
سأله واحد من هؤلاء عن عمله أو اسمه أنكره وادعى لنفسه
شخصية متنكرة ، ثم حدث أن تعرف على شاب راح يواعده
مساء كل يوم فيقضى معه وقتاً ، وكان هذا الشاب يلح فى معرفة
حقيقته إلا أن حرصه كان شديداً فلم يجعل له فرصة المعرفة ،
وبينما الرجل يسير صباح أحد الأيام قابله هذا الشاب عرضاً
ثم تتبعه حتى عرف حقيقة عمله وراح يهدده بإفشاء سره ، ولم
يتركه إلا بعد أن دفع مبلغاً كبيرا من المال ، ثم أعقب ذلك
أن أصيب هذا الرجل بشبه انهيار عصبى ، ولكنه فى الوقت نفسه
شفى من شذوذه فكان يأنف من نفسه إذا فكر فى محاولة

الشذوذ ، ثم أرخى ستاراً كثيفاً على الماضى حجب خلفه كل
قصص الشذوذ الجنسى التى عاشها فى ماضيه ، وبعد ذلك اتجه
يرنو نحو الصحة ويسلك الطريق الطبيعى ، ثم ازداد شغفه بالنساء
حتى بات عبد كل امرأة يقابلها .

... هذا المريض لم يتخلص تماماً من شذوذه — فالصدمة
التى أصابته كانت بمثابة هزة كهربائية تركته شبه مغمى — يخاف
معاودة الشذوذ لما فيه من خطورة وفضيحة . أما ارتماءه بين
أحضان النساء فبمثابة حاجز يحول بينه وبين العبور مرة أخرى
إلى حقل الشذوذ . على أنه يجب أن يكون معلوماً أن الخوف
من الشىء معناه الرغبة فيه ، فأنا مثلا أخاف أن أقابل امرأة
لأنى أميل إليها ، وأخشى أن أسقط إلى القاع ، إن فى اللاشعور
مراوغات عديدة يدل معناها على العكس . فالخوف والرعب
معناهما الرغبة الجامحة كما أن الغيظ والحقد معناهما الميل والخنوع
فاندفاع هذا المريض فى نزواته الجنسية وميله الشديد نحو المرأة
يخفى وراءه البغض والكراهية الشديدة لها .

وبمناسبة الحب والكراهية أذكر قصة شاب عصبى المظهر
كان يثور إذا رأى امرأة متبرجة تسير فى الطريق العام فقد كان
يحز فى نفسه ويعز عليه أن يرى امرأة لا تقيم وزناً للتقاليد أو
الاعتبارات العامة أو الدين ، فإذا وجد فرصة لا يتورع من
التقدم إليها بنصيحة — وكانت تصرفاته هذه وتعرضه لحريات

الناس ما جر عليه مشاكل عديدة . وكان يقدم على أعماله بدافع الدين ، فقد كان يرى فى نفسه أحد خدام الفضيلة . وفى أحد الأيام بينما كان يسير فى الطريق رأى امرأة له بها معرفة بسيطة لأنها تسكن بمجاورة لداره وكانت متبرجة ، فتقدم منها وتحدث إليها . ثم فهم من حديثها أنها على ميعاد مع خطيبها ، فاستشاط غضباً وصفعها على وجهها ، فاستغاثت واجتمع الناس، فلما رأى تحرج الموقف وعجزه عن تفسير تصرفه ارتمى فى إغماءة طويلة ولما أفاق واستجوبوه أنكر كل ما حدث منه .

هذا الرجل يعانى أزمة نفسية ، فهو دين للغاية ، ولقد قيل أن النساء إثم من عند الشيطان — ومن ثم عاش فى حرمان عنيف — وكان يغيظه أن يرى الآخرين يتمتعون بروح الحياة بينما هو نفسه محروم من هذه الروح ومن ثم أخذته الغيرة من كل امرأة يراها . أما غيبوبته التى راح فيها فقد كانت بمثابة خداع نفسى الغرض منه التخلص من الأشكال الذى وقع فيه وهذا الشاب مريض أيضاً بالشذوذ الجنسى المقنع ، ففى عقله الباطن ميل للجنس المشابه ، وهذا الميل خلق فى نفسه الكراهية لكل امرأة — فكأن نزاعه مع المرأة لم يكن نتيجة غيرة على الدين كما يظهر — وإنما نتيجة إحساس بالكراهية لها .

وفى حالات الإغماءات أو الصرع النفسى ، كثيراً ما يكون الدافع له شذوذ جنسى .

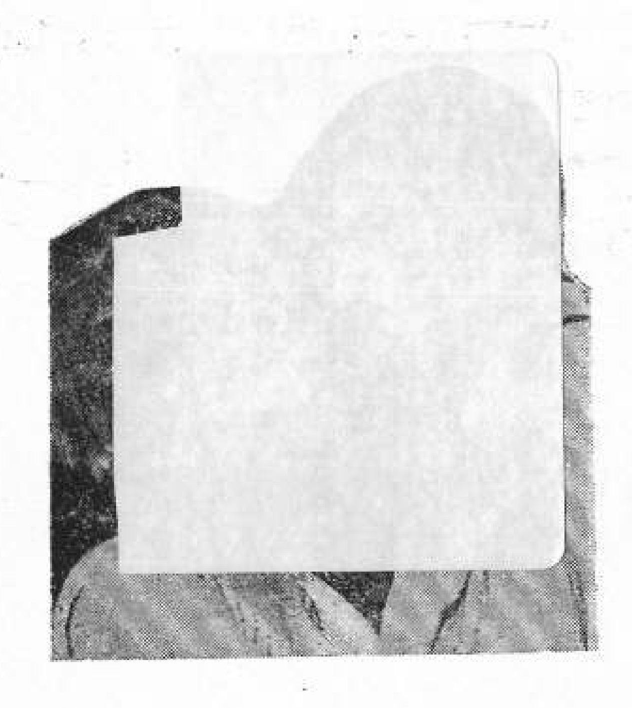
ونعرض قصة شاب مصاب بالشذوذ . كانت تنتابه فترات من الصراع فيلقى بنفسه على الأرض ويذهب فى إغماءة طويلة وكان يخرج مع أصدقائه فى نزهات طويلة ليقضى معهم طول يومه خارج الدار . فإذا أراد والداه أن يحولا بينه وبين الخروج انتابته حالات من الصرع فألقى بنفسه على الأرض وذهب فى غيبوبة . وهو إذا أعطى ميعادا لأحد أصدقائه ولم يأت فى الميعاد المحدد جاءه الصرع ، وما يزال فريسة صرعه حتى يأتى صديقه الذى واعده .

وباستعراض تاريخ حياته وجدنا أن به علة من الضعف العقلى الوراثى فقد كان له خال يشكو من الضعف العقلى وكان له ابنة خالة قضت فترة فى مستشفى الأمراض العقلية وكانت أمه تشكو من الهزات العصبية . وكانت معدومة الأنوثة لها مظهر رجالى . وكان أبيه يشكو من اعوجاج خلقى وكانت لأخته مظهر الغلام وكانت تعبيرات وجهها تدل على القسوة والعنف وكانت تميل إلى إرتداء ملابس الذكور وممارسة ألعابهم وكان لبعض أقاربه من الذكور مظهر الشباب المخنث . وكان لهذا المريض نفسه مظهر الأنوثة . فكان صوته ناعما رفيعا وكانت حركاته هادئة لينة وكانت أحاديثه تنطق عن كثير من الخنوع والاستسلام وكانت حركاته تعبر عن نعومة كاملة . وأظهر لنا التحاليل أن هذا الشاب كان وهو طفل كثير التعلق بأمه فلما شبت سواعده تخلص من هذا التعلق . ولكنه بات أكثر تعلقا

نا للنساء الكبيرات السن — ثم بعد ذلك نزع نفسه من أمه ومن
النساء الكبيرات السن وراح يلقى بنفسه بين أحضان الرجال .
فكان شديد التعلق بأبيه ، شديد التعلق بعمه ، شديد التعلق بأقاربه
الذين يعبرون خطوط الشيخوخة . وهذا التعلق بأبيه أو بالرجال
المسنين مظهر من مظاهر عقدة أوديب المقلوبة أو بمعنى آخر مظهر
من مظاهر الشذوذ الجنسى المقنع — ذلك لأن المفروض فى
عقدة أوديب أن يتعلق الإبن بالأم والمفروض فى مركب الكترا
أن تتعلق الإبنة بالأب ، وهذان الغرضان مرضان نفسيان —
أما أن يتعلق الإبن بالأب فالمرض النفسى هنا مركب ومتضاعف
ويحمل معه معنى الشذوذ الجنسى المقنع .

هذه الحقائق كانت كامنة فى العقل الباطن وغائبة فى قاع النفس
وكان لا بد لنا أن نأتى بها من أعماقها حتى تطفو على السطح أمام
نظر المريض — وهذه الحقائق ترينا أيضاً كيف تغيب أمور
كثيرة عن خاطر الإنسان وهى عند ما تغيب عنه لا تذهب مع
الريح وتضيع فى عالم النسيان وإنما تغيب فى عالم اللاشعور المجهول
الواسع الكبير ولا بد لشفاء المريض من دائه أن نبحث معه عن
الأمور التى ضاعت منه .

إن الاعوجاج النفسى ليس مرضاً يصاحب الفقر ، أو هو
وقف على الجهلة دون المتعلمين ، بل هو شأن كل الأمراض
الأخرى يصيب كل الناس على السواء ، وهو أكثر إصابة للعقول



التى تمتاز بأرستقراطية التفكير والعلم ، أعنى الناس الذين لهم
ضلع كبير فى القراءة والفهم . وهذا المريض الذى نحن بصدده
طبيب ممتاز له باع فى مهنة الطب وساعد كثير على الشفاء ولكن
للأسف الشديد عجز عن علاج نفسه ، ذلك لأن الأمراض ليست
وقفاً على جماعات دون جماعات ، بل أن أى إنسان عرضة لها
وعرضة للسقوط فى الشذوذ إذا لم يسارع فى الوقاية منها وتجنب
نواحيها المعدية .

هذا ويجب أن يكون مفهوماً أن أمراض الشذوذ الجنسى

أمراضاً عادية ، يجب المبادرة بالتخلص منها ، وليس المرض نفسه جريمة ، وإنما الجريمة فى المصاب الذى يترك نفسه يتحلل رويداً رويداً دون تفكير فى العلاج .

فالشجاعة الأدبية تقضى على هؤلاء المرضى المبادرة بالعلاج بدل محاولتهم نقل عدواهم إلى أبرياء جدد وإصابتهم بداء الشذوذ وأخيرا يجب أن يكون معلوما أن معظم هذه الأمراض مردها الطفولة وأن جزوعها العميقة فى القاع تمتد إلى الماضى البعيد — ومع أن كثير من مرضى الشذوذ ظهرت أعراضها فى الكبر إلا أن هذا لا يمنع القول من أن البذور نبتت فى عهد الطفولة .

وإذا كانت أمراض الشذوذ الجنسى مظهر من مظاهر الانحرافات الجنسية فهناك مظاهر أخرى كالغيرة العنيفة التى تؤدى فى كثير من الأحايين إلى مشاكل عديدة . كما قد تجر معها الجريمة فالغيرة مظهر الحب وهى ضرورة للمحافظة على التراث والدفاع عن الأسرة ، ولكن إذا زادت عن حدها أصبحت مرضاً ، وتحمل معنى الضعف والخور أكثر مما تحمل معنى المروءة والإقدام ، وهى مظهر من مظاهر الشذوذ العنيف .

أعرف امرأة متزوجة من طبيب محترم ، تحبه حباً شديدا ولكن تظل حياتها سحابة قاتمة من الشك والقلق ، تقلب سعادة دارها شقاء — فهى شديدة الإحساس نحوه ، شديدة الغيرة عليه

ومع أنه مخلص لها — إلا أن الشك يسامر قلبها نحوه ، [illegible] الخطوبة كانت دائبة التلهف على أخباره تتجسس عليه تخشى أن يكون له علاقات غرامية بامرأة أخرى .

ولما تزوجته إزدادت حالتها شدة ، فكان إذا تأخر عن ميعاده راحت تظن به السوء وتنسب تأخره إلى مواعيد فتيات أخريات ، وكانت إذا أتته سيدة مريضـــة واختلى بها ليوقع الكشف الطبى عليها راحت نار الغيرة تأكل أحشائها ، وإذا خرجت معه إلى الطريق العام وذهبت معه إلى مطعم أو مقهى عام وحانت منه التفاتة إلى سيدة عرضاً أحست بالغيرة فى أحشائها وشعرت بآلامها ، وإذا ذهبت معه إلى السينما راحت تتابع نظراته لترى مدى تأثير فتيات الشاشة عليه .

وبالاختصار وضعت هذه الغيرة القاتلة على عينيها نظارة سوداء فباتت ترى الأشياء أمامها فى اللون الداكن الحزين ، ولقد امتدت جذور هـذه الغيرة حتى راحت تشمل كل شىء يحيط بها — امتدت إلى ابنتها — فراحت تغار منها ومن جمالها الذى يقف أمامها يتحداها ويظهرها امرأة هرمة ، وامتـدت الغيرة أيضا إلى زوج ابنتها فراحت تغار عليه وتخشى أن يكون له علاقة سيئة بفتيات أخريات غير ابنتها — مما قد يعرض ابنتها إلى المصير المؤلم الذى تعيش فيه ، وهى تغار على الخادمة ، تخشى أن يتطلع إليها زوجها أو زوج ابنتها ، ثم تخشى عليها من رواد

الطريق ، وتخشى ان تكون لها قصصا غرامية مما قد يعرض سمعتها للخطر ، وبالاختصار تغار من كل شيء .

هذه هى القصة الحزينة لامرأة شقية أضعها أمام القارىء ليحكم بنفسه عن قيمة الخزعبلات الصاخبة التى تعصف بمريضة وتصفر فى عقلها كما تصفر الريح فى بيت خرب فتقلب سعادتها نكدا وهناءها شرا ، وإنى لأتساءل عن معنى هـذه الغيرة التى لا أساس ولا سبب لها ؟ ! — الواقع أن مرد هذه الغيرة يرسخ فى العقل الباطن حيث يكمن الشر ، فهذه المرأة تشعر فى قرارة نفسها بالشذوذ الجنسى وهى فى الواقع لاتغار على زوجها من مريضاته وإنما تغار على المريضات من زوجها — إنها تأخذ إلى نفسها جانب الرجل وتضع نفسها موضع الرجل الذى يميل إلى النساء ، وتتبعثر غيرتها على كل النساء اللاتى يحطن بهـا فتنظر إليهن بعينين شرهتين لتشبع النهم الجنسى فى قلبها وعند ما تعجز عن إرواء هذا الجوع الحائر فى نفسها وتكبت نزعاتها الشرهة فى قلبها تنعكس بالغيرة عن وضعها الطبيعى فى ذهنهـا فتزعم بأن غيرتها على زوجها وهى فى أعماقها تكره زوجها لأنها تكره الرجال وكراهيتها للرجال لأنها تميل إلى الشذوذ الجنسى المقنع ، وكراهيتها لزوجها لأنها ترى فيـه الشخص الذى يقف أمامها ليحول بين إشباع نهمها الحائر نحو النساء ، وتجد فى الغيرة السلاح المنطقى الذى تسلطه على زوجها فتعذبه به ، وهى تأسف لكراهيتهـا لزوجها ، فقد كانت تتمنى أن تعيش شأن كل امرأة فى حب مع

زوجها — ومن ثم راحت تحمل نفسها مسئولية هذا الكره لزوجها فكرهت نفسها عقاباً لها ومن ثم ضاق ذهنها بالحياة فباتت أنانية تحب نفسها وتريد من ابنتها أن تكون كل عواطف ابنتها لها وحدها لا يشاركها معها أحد ولكن وجود زوجها (زوج ابنتها) على المسرحية ما جعلها تحقد عليه فكرهته هو الآخر — هذه الانفعالات النفسية والغيرة التى لا تقوم على أساس عادى حطمت حياتها العذبة شأن هذه المرأة شأن كل امرأة خربة الذهن يخيم فى رأسها العنكبوت عندما تتدخل فى حياة ابنتها الخاصة وتلقنها الكفر به وتلح عليها فى هجره — فالدافع الأكبر الذى يدفع (الحماة) فى التدخل بين الابنة وزوجها هو إحساسها بمركب النقص عندما ترى ابنتها فى الربيع تتمتع بالحياة بينما هى على نهاية الخريف تقترب من الشتاء لاتحس الدفء فينتاب الحماة الجنون فلا تجد وسيلة أمامها إلا أن تخرب بيت ابنها السعيد حتى تتساوى ابنتها معها فى الشقاء وتعيش (الابنة) فى حرمان من السعادة كما تعيش الأم — أن مثل هـذه الغيرة تقوم على كثبان خربة من ذهن سقيم .

وهناك قصصا عديدة عن الغيرة الجنسية التى تقوم بمثابة ستار يحجز خلفه ألوان الانحرافات المختلفة — فقد مرت على تجاربى امرأة فى ربيع الحياة صارخة الجمال — متزوجة ولها أطفال — راحت تحدثنى عن غيرتها الشديدة على زوجها والغريب فى حديثها أنها هى شخصيا لا تقيم وزنا للرباط المقدس ولا

[illegible] بسوء من الكراهية فهى دائبة الصخب دائبة العبث — فإذا خرج الزوج لا تتورع بأن تدعو صديقها إلى الدار — وكان مما ساعدها على التمادى فى الاستهتار بيت الزوجية — أن الزوج نفسه مغفل ، أبله يعتقد فيها ويثق بها — والغريب أيضاً أن أصدقائها من الحثالة والطبقات الدنيا — فالرجل الذى يستثيرها هو الرجل التافه الذى لا حيثية أو مركز له — أما الرجل المحترم الذى له حيثية فى الهيئة الاجتماعية فلا قيمة له فى نظرها — هذه المرأة لا تعرف معنى الإخلاص لزوجها ولكنها تصر على انتزاع الإخلاص من زوجها وينتابها الخوف والشك — وسوء الظن ، ومن أجل ذلك راحت تعيش فى ضلال الغيرة القاتلة دائبة الشجار معه — تخشى أن يخرج أمره من يدها .

ولقد أزاح التحليل النفسى الستار عن هذه المرأة فأرانا نفسية خربة حقيقتها غير ظاهرها — فهى لا تحب زوجها ولا تقيم له وزنا وتضمر له الكراهية والبغض — وأن هذه الكراهية عميقة لشخصه — وأنها تتخذ من الغيرة وسيلة لتؤرق حياته حتى تشبع طابع الكراهية والغضب التى فى نفسها — ففى ثورة الغيرة وتحت ستار الحب الذى تزعمه نحوه تخرج نزعاتها المكبوتة التى تعبر عن بغض وكراهية — وهى تتخذ من الغيرة ستاراً يخفى خياناتها — فهذه المرأة تتهادى فى أعماق الرذيلة ، ولكنها تسارع وتهاجم زوجها البرىء فى وفائه لها محاولة بذلك تضليل

الحقيقة فى تذر الرماد — أما ميولها للنوع الرخيص من الرجال فرده الطفولة فقد نبتت هذه المرأة فى بيئة منحطة فعاشت وهى طفلة بين أحضان الخادمين والخادمات — فلما كبرت انعكست أضواء الماضى على حياة الحاضر فباتت لا تهتم إلا بالجماعات الرخيصة تؤهله هؤلاء الجماعات الدنيا — وفى قاع هذه المرأة ميل عنيف للسادزم أى القسوة والعنف — وتحت ستار الغيرة تحاول أن تشبع رغباتها القاسية الكامنة فى قرارة نفسها يعيش الميل للنساء وهى تتمنى أن تتعرف إلى إمرأة — وتتمنى لو كان زوجها امرأة حتى تشبع تلك التمنيات فى صدرها .

ومن بين ثورة الغضب والإنفعال وضيق الصدر من عدم إمكانها إشباع هذا التمنى تنتابها الحسرة فتنهال على زوجها شدة وتقريعاً ولا تجد خيراً من الغيرة كى تخفى وراءها كل إنحرافاتها .

أن هناك قصصا عديدة عن الغيرة تخفى وراءها قصصاً عديدة من الانحرافات .

وليست الغيرة بالمعنى الصحيح عربون حب وإنما هى رمز للأنانية الشديدة كما أنها رمز للبدائية الأولى ولعل الغيرة أقوى الأسلحة التى يمكن للإنسان — تحت ستارها

... يشبع شهوته الشاذة ، فالذى يضبط امرأته فى موضع مخل ويقتلها إنما هو إنسان مريض بالسادرم — أو بمعنى آخر مريض بالقسوة ، وتحت ستائر الغيرة يشبع نفسه من منظر الدماء .

وأن كثيرا من الانفعالات النفسية التى تظهر فى بيئة العمل مردها الغيرة المكبوتة فى النفس، فالرجل الذى يجبن عن مؤاخذة زوجته على سوء تصرفها بينما يرى باستمرار كرامته تنحدر نحو الهاوية ويرى زوجته تتهادى بين براثن الفجر والذلة ويرى بأعينه عشاقها وهم يتخلفون عليها هذا الرجل تثور فيه عوامل الغيرة ولكنه يخشى إظهارها لزوجته لأنه جبان لايقدر على مصارحتها بما رأت عينيه أو بما يعتقد به قلبه ومن ثم تنفجر ثورة الغيرة فى عمله مع مرؤوسيه ورؤسائه فيظهر بمظهر الحريص على العمل الجاد فى الحق .

وأن كثير من العصبيين الذين يثورون خلال أداء واجبهم اليومى ، يكون مرد ذلك فى غالب الأحيان إلى المنزل وبالتالى إلى الزوجة — أو بمعنى آخر يكون مرد ذلك القلق العصبى وعدم الاستقرار العاطفى — وأن كثير من سيىء الحظ الذين عجزت حياتهما الجنسية عن الحصول على السعادة الزوجية قد أدى بهم المطاف إلى الفشل فى الحياة العملية .

جاءنى شاب فى ربيع الحياة — راح يحدثنى عن القلق والاضطراب — وعن التشنجات العديدة التى تصيبه — وقال

لى أن هذه التشنجات لاتأتى إلا فى أوقات العمل — فيحدث له أن يرتمى على الأرض ويذهب فى إغماءة تستمر فترة من الزمن ولقد عرف عنه زملاؤه ورؤساؤه داءه العصبى فراحوا يعطفون عليه ويتسامحون معه فى غلطاته والغريب أن هذه التشنجات لاتأتى له فى اللحظات التى يكون فيها خارج العمل .

ولقد أزاح التحليل النفسى أن هذا الشاب يعانى أزمة نفسية حادة — فهو متزوج من امرأة صارخة الجمال وهو شديد الحب لها ، ولكن مرتبه ضئيل بينما مطالبها المادية عديدة — ولقد بات شبه واضح له أنها تخونه لتعوض بعض هذه المطالب ، ولكنه يخشى مواجهتها ومن ثم راحت تنتابه هذه التشنجات النفسية . حتى تكون بمثابة احتجاج نفسى على رؤسائه كى يرفعوا من مرتبه حتى يسد حاجة زوجته .

وأن قصص الانتحار التى تحدث كل يوم مردها الفشل فى الحب فالذى عجز عن الحصول على المرأة إنما يقدم على الانتحار وكأنه يريد بذلك أن يحمل حبيبته مسئولية وفاته — فلو أنها انصاعت له لما أدى به الطريق إلى الوفاة .

أعرف رجلا أصيب بالكساح فبات غير قادر على مغادرة داره وكان مرضه غريباً فلم يظهر الكشف الطبى أى ضعف فى تكوينه الجسدى مما يكون له أثر على دائه .

وقد أزاح التحليل النفسى بأن هذا الرجل يشك فى زوجته

ويعتقد فى خيانتها له ، فلعبت العوامل النفسية دورها لتقعده عن مغادرة الدار كى تتاح له أكبر فرصة لحراسة زوجته .

وهذا الكساح نفسى — وهو أشبه بالشلل النفسى الذى يصيب الجنود فى ميادين القتال كى تتاح لهم فرصة الإعفاء من الجندية .

جاءنى شاب مصاب يشبه شلل فى يديه الاثنين ، لايقدر أن يثنيهما ، وكان يسير بيديه مفرودتين إلى جنبه وإذا حاول أن يثنيهما أحس بألم شديد — وقد أثبت الكشف الاكلينيكى بخلو هذا المريض من الأمراض الجسدية — وقد أرانا التحليل النفسى أن هذا الشاب دئب على ملازمة العادة السرية بكثرة كبيرة ثم عرف بعد ذلك مضارها — خصوصاوقد ألم به إصفرار وهبوط فى القلب فحاول أن يمتنع ولكن الرغبة فى العادة كانت تحدوه دائماً للاستمرار على مزاولتها وكان هذا الشلل النفسى فى يديه بمثابة وسيلة أوحت بها النفس حتى يقف ضد رغبة الشيطان .

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن العادة السرية أقول أن ضررها ينحصر فى الصراع النفسى العنيف والتردد الذى يلاقيه المريض قبل إتيانها — وفى الندم الشديد الذى يعقب هذه العادة — فكثرة الحديث عن العادة وعن أضرارها خلق عند المريض وهم قوى بأن نهايتها الجنون — وهذا الوهم هو المرض نفسه — وهذا المرض انحراف نفسى عنيف قد يؤدى فعلا فى كثير

من الحالات إلى الجنون .

حدث لأحد الجنود أن راح يزاول العادة السرية بمعدل كان يزيد على عشرين مرة فى اليوم — وكان غرضه من ذلك أن يصاب بالسل أو الربو أو الهزال أو أحد الأمراض حتى تعفيه من الجندية ، وفعلا أصيب هذا المريض بكساح فى قدمية ولكن لم يكن للعادة السرية الفضل فى ذلك — فالفضل كله للإيحاء القوى الذى سلطه على نفسه أن يمرض فرض — ولكن حدث بعد ذلك أن انتابت المريض موجة من الاضطراب الذهنى العنيف — وهذه الموجة لم تكن نتيجة إتيان هذه العادة وإنما كانت نتيجة الصراع النفسى العنيف الذى كان يلاقيه المريض من الاستمرار على مزاولة هذه العادة أو الإقلاع عنها أو بمعنى آخر بين الاستمرار فى الجندية وما فيها من خطورة على حياته وبين التعرض لمرض السل .

جاءتنى امرأة متزوجة أحد الأطباء — وكانت شديدة القلق والانفعال وحدثتنى عن أحزانها ، فقالت بأنها عاشت فترة من الوقت وهى سعيدة بحياتها فقد دئبت على العادة السرية منذ الطفولة — ولما تزوجت لم تتمكن من التخلص منها فكانت تأتيها فى غفلة من زوجها — وكانت قانعة بحالتها ، حتى وقع فى يدها كتاب يتحدث عن أضرار العادة السرية فانتابها خوف شديد

وراحت تقاوم هذه العادة حتى أقلعت عنها ولكنها أحسست باضطراب عنيف فى حياتها — وكان الاضطراب يزداد بها عندما تضغط عليها العوامل النفسية لترغمها على إتيانها .

... هذه المرأة واقعة تحت عوامل نفسية — فهى تشعر بالبرود الجنسى نحو زوجها — وتلجأ إلى العادة السرية كمخرج لها من برودها ولكن حديث الكتاب عن ضرر هذه العادة السرية جعلها تقلع عنها ومن ثم وقعت فى حيرة لأنها افتقدت هذا المخرج النفسى الذى كانت تلجأ إليه — ولقد ازدادت حيرتها عندما اشتد بها الميل نحو هذه العادة بينما وقف الخوف يمنعها من إتيانها وكان فى هذا التشاد النفسى العنيف ما أدى بها إلى السقوط فى الهوة العصبية .

... وأضع أمام القارىء قصة أخرى عن أثر النكسات النفسية التى يكون مردها الكبت الجنسى الناجم عن الإقلاع عن العادة السرية وهذه القصة لفتاة تعانى أزمة نفسية فهى إذا جلست إلى جوار رجل أو امرأة أحست بشبه قىء واضطراب نفسى وما يزال يزداد بها الأمر حتى يبتعد عن جوارها هذا الرجل أو تبتعد هذه المرأة — وإذا ذهبت إلى إحدى الحفلات العامة مثلا وتكاثر حولها الرجال وراحو يتحدثون إليها سرعان ما تحس بحالة القىء الشديد — وإذا ذهبت إلى المطاعم العامة

وتصادف أن جلس إلى جوارها أحد الرجال سرعان ما تحس بحالة القىء فتظل تغالبه حتى تخور قواها فتهم مسرعة الى دورة المياه فتتقايأ طعامها الذى أكلته ثم تجلس وهى فى شبه إصفرار منهكة يتصبب العرق من جبينها .

وقد أزاح التحليل النفسى الستار — فأرانا امرأة نبتت فى بيئة محافظة لقنتها الفضائل الدينية وبذلك نمت كارهة للرجال وهذه الكراهية للرجال فتح أمامها باب للعادة السرية فوجدت فيها الهدوء والاستكانة حتى عرفت مضارها فأقلعت عنها . ثم رأت أن تتعرف إلى بعض الرجال ولكن التعاليم الدينية التى شبت عليها . راحت تعارضها وبذلك وقعت بين صراع عنيف الرغبة والرهبة — الرغبة فى إشباع الغريزة الجنسية كنداء طبيعى لنضوجها ، والرهبة من الدين حرم الانحدار نحو الرذائل فكان القىء بمثابة احتجاج كامن من قلبها على وجودها بصحبة رجل .

فالقىء بمثابة اشمئزاز ونفور من الرجل والقىء معناه أن تفرغ مافى بطنها وهو عقاب سماوى شأنها فى ذلك شأن ما يحدث عند المسيحيين من الاعتراف إلى القسيس أعنى إفراغ ما فى قلبه فهى تفرغ مافى بطنها من فضلات كما تفرغ مافى قلبها من مساوىء وهى تخشى أيضاً التمرغ فى هوة الشذوذ الجنسى — ومن ثم راحت تحس بنفس هذه الآلام المعوية وبالميل إلى التقايؤ إذا

اقتربت منها امرأة وإن كانت هذه الآلام وهذا الميل أخف حدة عنه من الرجل .

وأنتقل ونحن على بساط البحث فى الانحرافات الجنسية إلى البرود الجنسى فى المرأة — لنجد أنه نتيجة الكبت والحرمان وأنه نتيجة شرخ عنيف فى النفس — فالمرأة الشابة التى تتزوج عجوز لا تجد فى هذا العجوز استجابة لعواطفها لاختلاف السن واختلاف التفكير فتعيش فى دنيا غير الدنيا التى يعيش فيها هذا الرجل. أو بمعنى آخر تعيش محجبة عنه فى برود جنسى والشخص الفظ الغليظ المعاملة لزوجته الذى يعمد إلى التسخير منها والتحقير بها — مثل هذه المرأة تعيش بقلب لا يضمر لزوجها الحب ومن ثم تنعكس هذه الكراهية على عواطفها ونزعاتها الكامنة فتضن على زوجها أو بمعنى آخر تأنف منه فلا تستجيب لميوله ونزعاته كعقاب له عن سوء معاملته لها .

أذكر قصة امرأة مصابة بالبرود الجنسى ، تحب زوجها حباً عنيفاً ولكنها لا تستجيب لعواطفه ، وبالبحث فى ماضى حياتها وجدنا أن زوجها عيرها بقبح ساقيها ليلة الدخلة فأحست منذ تلك اللحظة بثقل أنفاسه . . . فقد كان للملاحظة البسيطة التى أبداها زوجها أثر كبير فى نفسها — ذلك لأنها اعتبرت هذه الملاحظة بمثابة إهانة جرحت كبرياءها — مما جعلها تعتقد أن زوجها فظ لا يحسن الحديث ولا يقيم وزنا لشعور الناس فمن الخطأ الاستجابة لعواطفه كعقاب له .

وجاءتنى امرأة متزوجة تبدو عليها علائم الحيرة والاضطراب وراحت تحدثنى عن نفسها بأنها إذا رأت بقعاً من اللون الأحمر تحيط بها ألوان بيضاء أصابها اضطراب شديد وأحست بقىء وشبه إغماء - على أن هذا القىء والإغماء لا يتأتى إلا إذا كانت بصحبة سيدة ، وقد أظهر التحليل النفسى أن زوج هذه المرأة أحس بالعنة ليلة الدخلة فلم تسعفه رجولته ، ولكنه خشى أن تفضح الخادمة أمره فى صباح اليوم التالى فأسكب قطرات من الحبر الأحمر على الملاءة البيضاء ليوهم الخادمة أنها قطرات من الدم ، ولقد ارتد هذا الدافع اللاشعورى على نفسها فباتت تخشى الألوان الحمراء التى تحيط بها ألوان بيضاء وكأنها بذلك تخشى صباح ليلة الدخلة عندما خافت الخادمة من اكتشاف الحقيقة ويزداد خوف هذه المرأة إذا كانت بصحبة امرأة أخرى ففى ذلك ما يقرب الشبه إلى ذهنها ويعيدها إلى تلك التجربة القاسية — أو بمعنى آخر هذه الألوان الحمراء والبيضاء ارتداد بها إلى لحظة الضيق ليلة الدخلة — إلا تفصح لنا هذه القصة بوضوح قوة الصدمة التى تصيب المرأة ليلة الدخلة ؟ وإلا يدفعنا ذلك إلى الجهر بأن مستقبل الزوجة وحظها ينمو فى تلك الليلة ؟ ففى هذه الليلة تقرأ المرأة عنوان الكتاب الذى سيكون دستورها الذى تعيش عليه — وأن الرجل الفظ الغليظ القلب الذى عدم الليونة لن يجدى بعد ذلك طلاوة أسلوبه وحسن حديثه ومعاملته فيما بعد ، ولن يشفع له أى نوع من الرقة يقدمه لها بعد ذلك إلى زوجته .

والمؤسف أن الكثير ينظرون إلى المرأة كقطعة من (الشيء) الذى لا قيمة لعواطفه — وهذه النظرة خاطئة فأنت إذا تغاضيت عن عواطف شريكتك فكأنك تتغاضى عن حقيقة البشرية ، فالسعادة الزوجية لا تكمل إلا باستجابة الطرفين فإذا انعدمت هذه الاستجابة انفتح السبيل إلى الخلافات العديدة مما يؤدى إلى الفراق ، والعاقل هو الذى يفهم حقيقة شريكته فلا يجعل لها سبيلا إلى البرود الجنسى ، والمرأة الباردة هى فى الواقع امرأة (حارة) ولكنها كبتت شعورها الجنسى وأرادت إخفاءه تمنعا أو أن عواطفها الجنسية خانتها فعاشت دون أن تحس العاطفة الغريزية — أو بمعنى آخر عاشت فى حرمان .

وثمة لفتة أخرى إلى البيئة والتقاليد والأوضاع نجد أن المجتمع ألقى على المرأة عبئا ثقيلا — ثم حجبها وراء ستار جعلها تستنكف حياء فى إظهار شعورها وإحساسها ، وأن الكثير من الفتيات يفضلن أن ينعتن بالبرود عن أن يقال عنهن أنهن حارات ملتهبات — ومعظم اللائى يظهرن البرود إنما اللائى فى قلوبهن شرخ ، هذا الشرخ جعلهن يكبتن شعورهن حياء واستخفارا .

هذه قصة سيدة فى ربيع الحياة تشعر باضطراب عصبى حدثنا تاريخها بأنها نبتت فى بيت محافظ — فلم تعرف شيئا عن الأمور الجنسية — تزوجت فى سن مبكر ولكنها فزعت من زوجها منذ الليلة الأولى — فعاشت بعيدة عنه — وكان كلما

اقترب منها أحست بالقشعريرة وبخوف ، وأزاح التحليل الستار فوجدناها نشأت فى بيت دينى محافظ أقام وزنا للاعتبارات والتقاليد وحافظ على الشرف والعفة ووضع فى ذهنها أن الجنس جريمة ، فلما كبرت راح صدى تلك الأفكار تضرب ذهنها فبدى لها زوجها وحشا فى صورة إنسان — وفى غيبوبة الماضى نست أنها حليلته شرعا — فالإيحاء القديم له رد فعل على نفسيتها .

بمجرد أن المرأة لا تحس بالحرارة بين أذرع زوجها — لا يعنى معنى البرود — أو أن المرأة فقدت الشعور بالحياة — فقد يكون السبب كراهيتها للزوج أو ميل نحو الشذوذ أو العادة السرية أو ميل للسادزم أو الماسوشيزم — إلى غير ذلك من الأسباب مما يعجز عنه الحصر ويعجز على الرجل أن يفهمه .

وهذه قصة سيدة فى ربيع الحياة تعودت العادة السرية ثم تعرفت إلى فتاة فصادقتها ثم خطبها شاب ولكنها نفرت منه ثم تعرفت إلى فتاة ثم إلى شاب تزوجته ولكنها تركته إلى امرأة تعرفت عليها — هذه الفتاة تتنازعها فكرتان — فكرة أن تكون زوجة وربة بيت وأم . فكرة إشباع شذوذها الجنسى العنيف وبين هاتين الفكرتين راحت تتردد بينهما دون أن تدرى ما تفعل .

وأذكر قصة أخرى لامرأة متزوجة فى الثلاثين من عمرها ولكنها لاتذكر أنها أحست مرة بنداء الطبيعة — وكان الرجل فظاً سيء الخلق والعشرة — تعرفت إلى شاب شاعر أحبته وأحست إلى جواره بالدفء ، ولكنها كانت وهى تدعو الشيطان تدعو الله فى الوقت نفسه أن يرحمها من الشر الذى تدنس به أياديها وهى تقرب الإثم — فقد كانت تود أن يلين قلب زوجها لتخلص له بدل جنونها مع هذا الشاعر ، وبذلك عاشت فى حيرة وألم أدى بها إلى الانهيار النفسى .

... وإن من أسباب البرود الخوف من المرض أو الخوف من الحمل أو الكراهية الشخصية للزوج أو احتقار الزوج للزوجة أو أهل زوجته أو الخوف من الناس أو الخوف من الفضيحة كل هذه الاعتبارات تخلق البرود الجنسى — لأنها بمثابة أسباب تخلق الاشمئزاز ، وبالتالى تؤدى إلى البرود .

وإذا انتقلنا من البرود الجنسى فى المرأة إلى أمراض الضعف

فى الرجال وجدنا أن هذا الداء كان ومايزال سببا فى خراب بيوت عديدة . وليست خطورة هذا المرض فى النقص الاكلينيجى وحرمان الرجل من حق طبيعى، وإنما أيضاً فى الإحساس النفسى والشعور بالخور والضعف أمام الزوجة ، وأن مرد كثير من الأمراض الجنسية إلى هذا الضعف الجنسى والمرارة التى يطويها الرجل فى قلبه نحو المرأة وأن كثير جرائم الخيانة الزوجية مردها العنة ، ويزداد موقف الرجل الضعيف حرجا أمام زوجته الخائنة فشعوره بالنقص لا يمكنه من مجابهة زوجته الخائنة بالجريمة فيقف معقود اللسان أمام سلاح الكرامة المسلط على رقبته مما يؤدى إلى الانهيار العصبى والضعف الجنسى فى الرجل يشبه البرود الجنسى فى المرأة كلاهما لا يستجيب لسنة الكون ومرده دائماً الكبت فلو أن رجلا يميل إلى أن تعامله المرأة بقسوة ، وتزوج امرأة ضعيفة فإنه يكبت ميله الجنسى ليعيش فى حرمان عاطفى عما يجيش بذهنه — ولو أنه تزوج امرأة عنيفة كما كان يرجو لكان أسعد حالا .

قال لى مريض بأنه يميل إلى معاكسة النساء فى الطريق العام ويروق له أن يؤذى أسماعهن بكلمات نيابية مما عرضه إلى كثير من المشاكل دون أن يرتدع عن جنونه . وقال لى آخر بأن ما يثيره فى المرأة هو طريقة سيرها وطريقة خطواتها ، وقد رأى مرة امرأة تسير فى الطريق العام فتتبع خطواتها حتى عرف دارها وخطبها إليه . وكان يروق له أن يجلس إلى مقعد وثير

ويدخن غليونه بينما تسير هى أمامه جيئة وذهاباً — حتى ملته وقطعت الخطبة .

وحدثنى آخر بأنه يروق له كثيراً أن يلمس المرأة — فإذا سار فى الطريق العام وأعجبته واحدة تتبعها حتى تصعد إلى الترام أو تدخل الدار وتحين منها فرصة لمسها — وقد استدعاه ذلك المزاج العجيب أن يسير خلف المرأة مسافات طويلة حتى أنه سافر مرة من ميونخ إلى برلين إلى أن حانت منه فرصة لمسها ، وبعد ذلك قنع بذلك النصيب وعاد أدراجه إلى بلدته ، ولقد جرته هذه العادة إلى مشاكل عديدة — فقد حدث مرة أن تتبع امرأة فى إحدى الامسيات حتى دخلت دارها فأسرع خلفها وانتهز الفرصة أن يلمسها على السلم، فصرخت واستغاثت فأسرع بالهرب.

وحدثنى آخر بأنه يروق له جداً أن يتصدى امرأة فى الطريق العام ويتعرى أمامها — ولقد جره هذا الميل الخارج على القانون إلى الوقوع فى مشاكل إجتماعية عديدة — وقد حدث له مرة أن رأى فتاة أعجبه شكلها فتتبعها حتى دخلت دارها فأسرع وسبقها إلى (العمارة) ثم استدار مواجهة لها وتعرى أمامها فاستغاثت وحضر الناس على صريخها فأسرع بالهرب .

وقال لى هذا الشاب أن تعريه كان يثير الخجل فى شعور بعض الفتيات بينما يثير الاشمئزاز أو النفور فى البعض الآخر ، كما قد يثير عندهن شيئاً من الضحك والفكاهة .

وقال لى شاب ريفى بأنه يميل إلى التجسس على النساء فيسير مسافات طويلة خلف المرأة ليكتفى بمعرفة البيت الذى تدخل فيه كما يروق له أيضاً أن يتتبع أخبـار الرجال الذين يعرفهم ومدى علاقتهم بزوجاتهم — ومن أجل ذلك كان يزور أقاربه فى بيوتهم ويقف الساعات الطويلة أمام منازلهم مسترقاً السمع .

وحدثنى شاب بأنه لا يثور فيه الميل الجنسى إلا إذا علقت زوجته فى صدره (شخليلة) وراحت تدلله بألفاظ عذبة كما تدلل الطفل الرضيع .

وهذه الأمراض النفسية تعبر عن مدى الضعف الجنسى فى الرجل — وهى أمراض قابعة فى أعماق النفس، تمتد فى جذورها إلى الطفولة . وأن كثيراً من الجرائم التى تقع تحت طائلة القانون يكون الدافع لها جنسى بحت فالسرقات الجنسية الدافع لها الميل الجنسى لا المنفعة المادية .

أذكر قصة شاب قبض عليه البوليس وهو يسرق منديلا من إحدى السيدات بطريق الإكراه . واعترف فى التحقيق بأنه تمكن أن يحصـل بطريق السرقة على أكثر من تسعين منديلا ، ووسيلته فى ذلك أن يقابل المرأة فى الطريق العام فيقذف على عينيها بعض المساحيق أو يعطس فى وجهها فتضطر لأن تخرج منديلها لتمسح به وجهها فيخطفه من بين يديها ويهرب به ، ويثيره المنديل المندى بالدموع أو المنديل المعطر .

وأذكر قصة شاب آخر كان يتحين الفرص فيدخل بعض الدور ليسرق الملابس الداخلية للنساء . وحدثنى شاب بأنه يميل إلى إرتداء ملابس النساء فكان يضع على صدره سوتيان ويلبس كورسيه كما كان يرتدى شراب امرأة من الحرير الخالص وكان يلبس فوق هذه الملابس النسائية ملابس عادية .

وهذه قصة رجل فى ربيع الحياة قبض عليه البوليس فى إحدى الليالى ، وهو يحاول أن يغتصب ملابس امرأة فى الطريق العام — وتفسير القصة أنه كان يسير فى طريقه فقابلته امرأة فأوقفها ثم طلب منها أن تخلع ملابسها الداخلية وتعطيها له — وطبعا رفضت المرأة أن تفعل ذلك فحاول أن ينال غرضه بالقوة ولكنها استغاثت فهرع الناس إلى نجدتها — وعند ما فتش منزله وجدوا عنده أكثر من ٤٠٠ قطعة من الملابس النسائية المختلفة — وكانت طريقته فى الحصول عليها أن يتسلل إلى المحال التجارية فيختلسها فى غفلة من البائعين ، أو يتسلل إلى المساكن فيسرق ما يمكن الحصول عليه . ولكنه وجد نفسه فى السنين الأخيرة مدفوعا بشعور لا إرادى لاختطاف حاجيات النساء وهن يسرن فى الطريق فكان يخطف حذاء امرأة فى الترام أو يخطف حقيبتها أو قبعتها ويولى هارباً .

قال بأنه كان مصيرا بقوة لا إرادية فإذا أتاه هذا الخاطر العنيف عجزت القوى المختلفة عن صده أو الوقوف فى وجهه فيشعر حينئذ بدوار وثقل فى رأسه ثم يمس فى ذهول عبداً لسلطان الفكرة

الإجرامية ويندفع فى نزواته ويسطو على كل ما يقابله ويهاجم كل من رآه فى جرءة وتهور حتى يحصل على هذه الملابس النسائية فيجلس يداعبها بعطف وحنان كأنها امرأة حية يمارس معها فنون الحب المختلفة ، ثم يدعها إلى جواره ويلقى عليها تحية المساء ويغمض عينيه ويستسلم للنوم العميق ، وهو لا يعتقد أن جريمته مما تقطع تحت طائلة القانون ويعتقد أن ما يفعله لا يسبب ضرراً للاخرين .

وأنتقل إلى قصة أخرى عن شاب فى الثلاثين من عمره متزوج وله أولاد قبض عليه البوليس وهو يحاول أن يقطع جزء من معطف امرأة ، فقد كانت المرأة تقف فى الطريق العام وكان الزحام شديداً فتسلل الرجل وأعمل مقصه فى معطفها وتمكن من أن يقطع جزءاً كبيراً منه وتنبه الناس إليه وقبضوا عليه .

وهذه قصة شاب فى الرابعة والعشرين — قدمه البوليس بتهمة جزع شعر النساء — ومظهر هذا الشاب وديع وهادىء وهو حديث العهد بالجامعة — وأن الإنسان ليأسف لمثل هذا الشاب عندما ينزل إلى المستوى الإجرامى — ولكن الوجوه السمحة تخفى وراءها أحياناً نفوساً تميل إلى الشر والعنف ، وتفصيل القصة أنه كان دائب التفكير فى التيجان الجميلة التى كانت تزين رؤوس النساء وفى الشعر المتدلى خلف ظهورهن مما يزيدهن فتنة وسحراً وكان كثير التفكير فى أن يجمع إلى داره نماذج

مختلفة من أنواع الشعر ، وكان كثير الحلم بأن يحمل معه مقص
يقطع به هذه الشعيرات المتدلية فوق ظهورهن ومع أن الفكرة
بدت سليمة إلا أن الأشكال كان يتسبب له من جراء هذا العمل
قد يكون من العسير التخلص منه .

ولكن الدافع القوى كان أكبر من إرادته ، سرعان ما أصبح
عبداً لرغبة فوق طاقته — واشترى مقصاً صغيراً حمله معه —
وبينما كان يركب الترام مرة إذ رأى إحدى السيدات تواجهه .
وكان شعرها جميلا متدليا على شكل جدائل بديعة فوقف خلفها
وأخرج المقص وحاول أن يقطع جديلة من جدائلها ، ولكنه
أحس برعشة تسرى فى بدنه بخوف وفزع وأحس بأنه يريد
أن يصرخ ليحذر المرأة من جريمته ، ولكن خانه الصريخ
فانعقد لسانه ، وفى الوقت نفسه زاد الدافع اللاشعورى يأمره
بأن ينصاع للجريمة — فرفع يده فى رعشة واقترب منها وحاول
أن يقطع الجديلة — ويعلم الله أن لون الأموات كان أقرب للحياة من
لونه، وأن الإنسان الذى يعيش فى الجليد قد يشعر بالدفء عنه —
فراحت أسنانه تتخبط مع بعضها ثم شعر بأن غمامة سوداء ارتمت
أمامه فلم يعد يدرك شيئاً مما يدور حوله وأحس بدوار شديد فارتمى
على الكرسى وهو فاقد الرشد ، ولما ذهب إلى داره قضى فيها أياماً
وهو رقيد الفراش — وبعد أن ذهبت العصبية عنه وعاد إلى حالته
الطبيعية راح هذا الخاطر يوسوس له من جديد ، ومرت الأيام

وحدث أن أقامت الجامعة حفلة راقصة فذهب إليها ومعه مقصه
ولما دقت الموسيقى وقام الفتية والفتيات يرقصن على النغمات
وكانت جدائل النسوة تتدلى خلفهن فى فتنة ، أخذ الرجل مقصه
وراح يدور مع الراقصين والراقصات فلمح فتاة بجدولة الرأس
فى حلقات طويلة فحاول أن يقطع منه جزءا ولكنه لم ينجح فقد
دارت الفتاة مع النغمة فى اللحظة التى بدأ المقص يعمل عمله ثم
حانت منه التفاتة إلى فتاة أخرى ترخى شعرها فى جدائل طويلة
— وفى غمرة الزحام أعمل مقصه سريعا واقتطع جزءا كبيرا
وضعه فى جيبه ثم نظر إلى فتاة ثالثة كان شعرها طويلا له لون
ذهبى جميل وكانت جدائلها تقترب من ركبتيها ولم يأخذ الأمر
طويلا حتى فاز بغنيمة الأسد ثم جاءت الرابعة وكانت تضفر
جدائلها على صدرها فوقف أمامها حائرا كيف يمكن له أن
يحصل على هذه الغنيمة دون أن يثير انتباهها — ولسوء حظه لم
يتمكن من مآربه . وعندما انتهى الحفل وعف المساء ذهب إلى
داره بغنائمه ودخل حجرته وأغلقها ثم راح ينثر ثروته فوق السرير
— ووقف أمام تلك الكنوز الثمينة فى نشوة الفرح يتأمل
تلك الجدائل الجميلة ويتأمل حكمة الخالق الذى أبدع فيما صنع
ثم وضعها جميعا بجواره وراح يقبلها فى نهم وشوق وقضى طوال
ليله يحوم حولها كما يحوم الكاهن حول معبده المقدس وكان يشعر
بأن هالة طاهرة حطت فوقها فصبغتها بنور من عند الله — فلما
آذن الليل بالإنصراف وظهرت تباشير الصباح ألقى برأسه إلى

جوارها وذهب فى سنة من النوم ، ثم استيقظ وراح يرتبها ووضعها فى مجموعات — ومنذ هذا اليوم كان يجد سهولة فى الحصول على ما يشاء من جدائل وكان يحمل معه المقص متنقلا بين المحلات التجارية التى تكثر فيها النساء أو فى زحمة الترامويات أو فى المراقص العامة ، فإذا انتهى اليوم عاد إلى داره ومعه حمل كبير من الغنائم ، فيركن إلى حجرته ويقص تلك الجدائل إلى شعيرات صغيرة ينثرها على وجهه ثم يرتمى ساعات طويلة إلى جوارها وهو فى شبه ذهول أو فى شبه فقدان لشعوره ثم يبدأ فى أن يستفيق رويداً رويداً .

إذا سلطنا شعاعاً من ضوء على هذا الشاب وضحت لنا بعض الحقائق الآتية : أنه شاب حزين صامت منطو على نفسه يأتى فعلته بدافع لاشعورى متلصصا فى غفلة من الناس وفى خوف من اكتشاف جريمته ، وحياة هذا الشاب الجنسية منحلة فقد تعود العادة السرية وكان يمارسها فى كثرة ، وتمسكنت منه حتى أصبح عبدها فسدت عليه الطريق للجنس الآخر وصار يكتفى بها الإشباع غريزته الجنسية — وثمة عقدة أخرى نشأت فى ماضيه — فقد تعود ملازمة أخته وهو طفل وكان شديد التعلق بها ، وكان لها شعر طويل يتدلى إلى ركبتها وكان يقضى كل وقته متطلعا إليها فانعكست هذه العواطف النفسية على حياته وخلقت عنده عقدة فبات أسير الشعر الجميل .

أن هذه القصة مثل للدى الذى ينحدر إليه البشر فيذهب بعيدا عن الوضع الإنسانى ليضل الطريق وبالرغم مما يكون قد وصل إليه من تهذيب وتعليم وبالرغم مما يشغله من مركز اجتماعى لا يتردد أن يسقط إلى الحضيض وهى مثل لما الطفولة من أثر على الإنسان وتكوينه .

أن الانحرافات النفسية عديدة وكثيرة فى مظهرها ، وأنت مهما حاولت أن تخفيها فلن تقدر على ذلك ، والتفسير الصحيح لها أنها منفذ للرغبات المكبوتة التى تحاول الخروج من القاع إلى السطح .

الشـــذوذ الجنسى

حب الرؤية

تعانى الأمم المختلفة إنحرافات جنسية تختلف كنتيجة للطريق التى نشأ عليها أطفالها وللخطأ العام الذى تقع فيـــه أمهاتهم . ويقصد بالإنحراف والشذوذ الجنسى « الميل عن الطريق الجنسى العادى الذى غرضه — سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة — النسل ... » .

فالشذوذ هو كل محاولة للوصول إلى « رضاء » جنسى عن غير الطريق الذى يؤدى إلى النسل عادة .

ويختلف الشذوذ تبعاً لسببه وتبعاً للمرحلة التى نشأ فيها ، وذلك لأن النمو الجنسى فى الطفل يتم على مراحل ثلاث :

مرحلة حب الذات ، مرحلة حب الجنس لنفسه ، مرحلة حب الجنس الآخر . . . ولذا تعددت وتنوعت وسائل الشذوذ الجنسى . وسنعالج كل قسم على حدة مبتدئين بالمرحلة الأولى :

مرحلة حب الذات

يبدأ الطفل حياته الجنسية مركزاً كل إهتمامه بنفسه وبأعضائه

يتحسسها متستكشفاً وقد يجد سروراً فى لمسها ، وهو لا يعتقد فى هذه الفترة أن فى الدنيا من هو جدير بالحب والملاطفة إلا ذاته فإذا فرغ من ملاعبة نفسه جعل يلاعب خياله ويؤانسه ناظراً إلى المرآة مجتلياً محاسنه وتنتهى عند السادسة أو السابعة .

وهذه المرحلة ثلاثة أطوار :

المرحلة الفمية ، المرحلة الشرجية ، المرحلة التناسلية .

فنى الطور الأول — يتركز إهتمام الطفل فيه بمنطقة الفم ، فيحصل على ما يرضى عواطفه بواسطة الرضاعة ومص الإبهام .

والطور الثانى — وذلك خلال الستة شهور الأولى من حياته إذ يفقد الفم أهميته نوعا ويجد الطفل فيما يخرجه أو يستبقيه من فضلات مصدراً لرضائه .

والطور الثالث — هو الفترة التى يعثر فيها الطفل على أعضائه التناسلية ويجد فى لمسها شعوراً بالراحة، تبدأ فى نهاية السنة الثالثة وتنتهى فى السابعة على الأكثر .

وهذه المرحلة بأطوارها الثلاثة من أهم ما يكون بالنسبة لمستقبل الطفل فقد ينشأ عنها أنواع الشذوذ الآتية :

١ — البخل والعناد نتيجة لتلذذ الطفل من إبقاء فضلاته أطول مدة ممكنة مثيرا بذلك إهتمام الناس .

٢ — الميل للعدوان خصوصاً بالعض وبذا يبقى إهتمامه بالمنطقة الفمية. وقد يزداد هذا الميل فيجد المريض لذة فى تعذيب

النفس والتمتع بمشاهدة علامات الألم ، السابقة ، .

٣ — العادة المعروفة .

٤ — حب العرض أى تعريض كل أو جزء من جسمه .

٥ — حب الاستعراض أى السرور من مشاهدة الأعضاء المستورة من أجسام الآخرين .

٦ — عشق الذات (النارسسزم) .

٧ — عقدة الإخصاء فى الذكور وعقدة الذكورة فى الأناث.

٨ — عقدة أوديب أو تعشق الطفل لأمه .

* * *

حب الرؤية من أكثر أنواع الشذوذ انتشارا ، والمريض بهذه الحالة كثيرا ما يكون مصاباً بالعنة — من الكهول غير المتزوجين أو الشبان كثيرى الخجل — ويجد سرورا فى مشاهدة الآخرين سواء خلال علاقة زوجية أو وهم عراة ، بل يكتفى بعضهم أحياناً بمجرد مشاهدة أفراد من الجنس الآخر فى وضع غير طبيعى كالرجل الذى يهزه أن يرى فتاة تصعد السلم أو منحنية تلتقط ما وقع منها . وقد يكتفى البعض بملاحظة الحيوانات فى علاقة زوجية .

وبالطبع يتحايل هؤلاء المرضى على هذه المشاهدات بمختلف الطرق وذلك إما بالنظر خلال ثقوب الأبواب المغلقة أو بالدخول إلى الغرف المغلقة بلا استئذان أو بالتطلع من وراء النوافذ خلال الليل او باستعمال النظارات المكبرة .

وقد يكتفى المريض بالانتظار فى مواقف السيارات ليمتع نظره بركابها أثناء صعودهم ونزولهم ، إلى غير ذلك من الوسائل الشاذة التى يعانى منها الكثيرون .

ولعل كثرة المشارب فى مصر وكثرة روادها ترجع إلى انتشار هذا النوع من الشذوذ بدرجة خفيفة .

وقد استغل هذا الانحراف فى بعض البلاد الأجنبية كطريقة للكسب المادى فتأسست الشركات التى يدير بعضها محلات تعرض فيها أفلام خليعة أو مناظر حية تمثل أدق العلاقات أو تطبع وتنشر صورا تحرص كل الحكومات على منع تداولها .

وقد تؤثر هذه الحالة فى السلوك العادى الشخصى وتحدد له نوع علاقاته وما غواة التردد على أحياء الخلاعة إلا من هذا النوع إذ أنهم يجدون هناك كل مايثير غرائزهم الحيوانية .

وقد تحدثت بعض الكتب العلمية عن حالة رجل محترم تزوج بامرأة غير شريفة لالسبب إلا لأن طريقة حركات جسمها أثناء السير تبعث فى نفسه شعورا بالرضا تجعله يصرف النظر عن وجهها القبيح ، وخلقها الأقبح .

وكان يكتفى بعد زواجه منها بمجرد تكليفها بالسير أمامه مستعرضة مفاتن جسمها ويستغرق هو فى نشوة جنونية حالمة .

وهو يشبه فى هذا كثيرا من الحيوانات . ولعل الذين قضوا وقتاً فى الريف يذكرون كيف يثيرون هناك غرائز الثور بقيادة

البقرة والسير بها حوله بحيث يمكن أن يتابعها بنظره .

هذا الشذوذ أى « حب الرؤية » ينشأ عن كبت فى المرحلة الأولى للنمو الجنسى نتيجة لقمع مستمر من الآباء للأبناء ومنعهم من مجرد مشاهدة أعضائهم وتكرار تعريفهم بأن الأعضاء الأعضاء الداخلية « أعضاء مخلة بالآداب » دون أن يفهم الطفل سبباً لهذا فتتكون لديه فكرة خاطئة عن أهمية هذه الأعضاء ، وبالتالى تنمو عنده الرغبة فى استجلاء سرها .

بينما هو لو أفهم أن هذه الأعضاء قيمتها كقيمة باقى الأعضاء وهى لا تختلف فى الأهمية عن غيرها ، فلكل عضو وظيفة لا يمكن الاستغناء عنها لما تكونت لديه هذه الفكرة .

وكما نحرص على إخفاء الأعضاء المختلفة لوقايتها من المؤثرات الخارجية كذلك نحرص على هذه الأعضاء ، وكما ننبه الطفل إلى ضرورة حماية الرأس من الشمس لشدة حساسيتها كذلك يجب أن ننبهه إلى حساسية هذه الأعضاء وإمكان تأثرها بالعوامل الخارجية دون أن نثير خوفه من مدى هذا التأثير وإلا وقعنا فى مشكلة أخرى هى « عقدة الإخصاء » فى الذكور أى الخوف من فقد أعضائه وهى الأخرى تؤدى إلى شذوذ آخر هو حب العرض أى تعريض أجزاء الجسم للناس .

خطاب من شاب

أنا مريض بحب الرؤية منذ زمن بعيد أترصد المناظر العارية فى أى مكان سواء أكان فى البيت أو الشارع أو المكتب ، وأستطيع أن أوضح فأقول إن جميع أعراض هذه الحالة التى ذكرتموها تنطبق على تمام الانطباق حتى وكأنك تصف بها حالتى بأكملها .

إننى شاب أعزب أبلغ من العمر ٢٦ سنة وجدت فى بيئة محافظة جداً شديدة الخجل والحياء خصوصاً فى حضرة النساء . فإذا ما خلوت لنفسى رحت أترصد مناظرهن من أى فتحة أو نافذة أو صعدت إلى أعلى الدور لأرى من الأسفل .
لقد عرفت العادة الممقوتة منذ حداثتى وأصبحت لا أستطيع الصبر عنها يوما واحداً فانهدت قواى واضمحلت صحتى وأصبحت شديد النحافة بعد أن كنت مكتمل الصحة . جربت المستحيل لأبتعد عن هذه العادة ولكن بدون جدوى فلم تكن إرادتى لتستطيع التحكم أكثر من أسبوع إلى أسبوعين حتى تعاودنى الفكرة .

وأخيراً تحكم فى مرض « حب الرؤية » فأصبحت لا أستطيع فعلها إلا بمنظر امرأة عارية تظهر بعض أجزاء جسمها وأنا وراء ستار يحجبنى عنها .

وأنا لم أقرب النساء قط ولم أتعود الالتجاء إلى دور البغاء
أبداً تظهر على مسموح التقوى وحسن المعاملة ، كثير التفكير
أقلب الرأى من جميع وجوهه قبل أن أتخذ رأياً ما ولكنى
كثيراً ما أنساق لآراء الآخرين وراء تحكم حالة الخجل وعدم
الشجاعة فى إبداء الرأى .

أبلغ من الطول ١٨٠ سم وأزن اليوم ٦٣ كيلو جرام شديد
النحافة شديد التفكير كثير الهموم أنظر للحياة بمنظار أسود
وأتمنى لو لم أخلق فى هذا الكون وأرى أن هذه الحياة كلها عبث
ولا معنى لوجودها ولا لوجودنا فيها .

أما اللمس فشديد الحساسية ، وأذكر مرة أن إحدى موظفات
التليفون أخذت تكلمنى بكلام مثير فما كان إلا أن وصلت إلى
رضاء تام دون أن تقربنى .

سيدى : هذه حالتى عرضتها لكم بالتفصيل ولما كنت شديد
الرغبة فى التخلص من هذه الحالات الآنفة الذكر والاستعياض
عنها بحالات تبعث فى نفسى الثقة وعدم الشعور بالنقص كرجل
يجب عليه أن يفيد ويستفيد من المجتمع البشرى وبسبب حالة
مؤلمة تسببت عن وفاة والدى ، أصبح أهلى يلحون على بالزواج
حتى أنهم أحضروا لى خطيبة ليحصروا تفكيرى فى حالة معينة
إلا أنى لا زلت شديد الريبة من نفسى ومن قدرتى على الزواج .

أرجو ألا تبخلوا على بردكم سريعاً لأستطيع أن أتخذ قراراً
فى مستقبل من الحياة الزوجية سأدخله مضطرا وبحكم

الضرورة .

ص . ص

المحرر : إن ما يشكو منه حضرة «ص . ص» حالة نموذجية
من حب الرؤية مع مضاعفتها والعلاج يتضمن ناحيتين :

أولا — إدمان العادة الممقوتة .

ثانياً — حب الرؤية وحده .

فبالنسبة للعادة ليس أسهل من علاجها ما دامت الرغبة
متوفرة ، وما دمنا نعرف أن نشاط الإنسان يتوقف على ما عنده
من طاقة حيوية فإن أفرط فى الناحية الجنسية قل نشاطه فى الحياة
والعكس .

فعلى ذلك لو أنك وجهت هذا النشاط بعيداً عن الناحية
الجنسية فلا شك أنك ستصل إلى التخلص من هذه العادة وبالتالى
من مضاعفاتها وهى الخجل والحساسية الزائدة والضعف . وإليك
نصائحى :

١ — إبدأ بدراسة بعض الكتب الدينية .

٢ — إلعب كل ما أمكنك لعبه من الألعاب الرياضية .

٣ — اشترك فى أحد أندية السباحة وهناك يمكن أن تعتاد
منظر العرى فى جو بعيد عن خيالاتك وأوهامك وستجد أنه من
السهل أن تحيا دون أن تثور مشاعرك .

لا تجلس وحيداً وإذا حدث وتعرضت للوحدة فسل نفسك
بكتابة ما ينتابك من مشاعر وبذا تنفس عن رغباتك بالكتابة

بدلا من العمل .

٥ — كل ليلة قبل النوم استلق على ظهرك وأرخ كل أعضائك وابعد عن مخيلتك كل شيء ثم أهمس بصوت تسمعه أنت « سأكون غداً أحسن من اليوم » وكرر هذه العبارة مدة خمس دقائق ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع قل « سأكون غداً رجلا كاملا » وكرر هذه العبارة لمدة عشر دقائق وهكذا لمدة ثلاثة أيام أخرى.

وفى اليوم التاسع قل « إنى اليوم رجل كامل » .

وكرر هذه العبارة لمدة ربع ساعة وهكذا لمدة أسبوع وإنى أؤكد لك أن هذه الطريقة المعروفة بطريقة « الإيحاء الذاتى » ستوصلك إلى خير النتائج .

٦ — وبعد هذين الأسبوعين خذ قلماً وورقة واسرح بذاكرتك إلى عهد الطفولة ودون ذكرياتك مستعيناً بالكلمات الآتية :

حجرة نوم . حمام . دورة مياه . أم . أب . خادمة . أخ . أخت . سرير . سطح . ضرب . عقاب . أى أكتب كل ماتثيره هذه الكلمات ولا يهمك أن يكون ما تكتب له ارتباط ببعضه . المهم أكتب وأرسل لنا ما كتبت .

٧ — ثم إن حالتك على ما يبدو من خطابك ليست سيئة إلى الحد الذى يبعث فى نفسك هذا اليأس فأنت تكتب جيداً وتصف حالتك بشكل واضح وخطك ينم عن شخصية لا بأس

بها يمكن أن تنضج اكثر وتجنى ثمارها متى زالت هذه الحالة .

٨ — مسألة الزواج . ارى تأجيلها الآن وأتمم أولا الخطوات السابقة .

٩ — كن على ثقة أنك ستتغلب على كل متاعبك وأرجو أن توافينا بأخبار سارة .

حب العرض

هذا نوع آخر من الشذوذ الجنسى معناه رغبة المريض به فى تعريض كل أو بعض أجزاء جسمه سواء خلال علاقة زوجية أو أثناء انفراده بنفسه والقيام بهذا العمل يرضى المريض ويزيل ما يشعر به من انقباض. ومثل هذا العمل تعاقب عليه كل قوانين العالم المتمدين وتعتبره منافيا للآداب العامة .

ومعظم المرضى بهذا الشذوذ من الرجال لأنه يسهل عليهم تعريض بعض جسمهم أما النساء فيعتبرون كل أجسامهن قابلة لذلك وهذا ما نلاحظه على كثير من السيدات حيث يخترن ملابس من طراز خاص يكشف عن مفاتن جسمهن .

وليس معنى ذلك أن الشواذ من الرجال يلجأون إلى تعريض منطقة معينة من الجسم فقد يمكنهم أن يصلوا إلى الرضاء التام لو عرضوا صدورهم أو أرجلهم .

ويجب أن لا يختلط هذا الشذوذ مع الميل إلى الرياضة فى الهواء الطلق والتمتع بالهواء والشمس لأن الأول يصحبه حتماً رضاء جنسى ويعقب القيام بهذا العمل الشاذ أن يعود المريض إلى منزله ويستبعد ذكرى ما حدث ويستغرق فى حالة عصبية تنتهى بالعادة المعروفة الممقوتة .

وقد لوحظ أن أمثال هؤلاء الشواذ يقومون بهذا العرض بشكل منتظم أى فى مكان ووقت معين . فلكل ميدان خاص ، فالبعض يفضل الحدائق العامة والبعض الآخر يميل إلى الاقتراب من مدارس البنات . وقد لاحظ الدكتور « إبراهام » أن بعض فتيات الحى فى بلده يحدثون بعضهم عن المكان والزمان الذى يقوم فيه الشواذ باستعراضهم .

وليس الاستعراض قاصراً على الحدائق وقرب مـــدارس البنات بل إن البعض يختار أماكن أخرى غير تلك فهذا المريض الذى شخص حالته « جارنيير » كان يتردد على المعبد . وإليك حالته كما يصفها بنفسه .

تسألنى لم أذهب إلى المعبد ؟ لا يمكننى أن أجيب ! ولكنى أعرف أنه هناك فقد تكون أعمار مثيرة للاهتمام الذى أرغبه ! فالسيدة التى تكون فى هذا المكان وتكون مستغرقة فى صلواتها لابد أن تشعر أن ما أعمله فى مثل هذا المكان ليس مجرد نكتة تدل على قلة ذوق أو رغبة فى المزاح بل إنه عمل خطير . وراقبه

الأثر الذى يحدثه عملى على وجوه السيدات ، ولم [illegible] يظهرن سرورهن البالغ أو أسمعهن يقلن وما أشد أثر هذا العمل خصوصاً عند ما نراه فى هذا المكان » .

وهذه الحالة تفسر نفسية المريض بهذا الشذوذ فهو يرغب أن يثير إعجاب وسرور ملاحظاته من السيدات وكان يفضل أن يرى ابتسامات الرضا على أن يرى غضبهن وخوفهن .

ولعل أشهر الشواذ « جان جاك روسو » الكاتب المشهور فهو يقول فى إعترافاته محللا نفسيته .

كان دمى يسرى فى عرو[illegible] عقلى مشحون بالسيدات والبنات . ولكن العار لحة[illegible] [illegible] ولم أعد أقوى على صحبة فتاة إلا [illegible]

وكنت أبحث عـ[illegible]

أعرض نفسى على ا[illegible]

أشجعهن على صحـ[illegible]

الذى يذتابنى عـ[illegible] [illegible] أعضاء

ففى أ[illegible] [illegible] أعضائه

فعرضت [illegible] يحدث طفله بأن يجرد

ملاحظـ[illegible] [illegible] ها .

ما [illegible] فى الاهتمام بحركات الطفل وأن

الأمور وهذه الحادثة على الرغم من أنها لم توصلنى إلى كامل ما كنت أرجو فإنها مكنتنى من أن أصبح قوياً لمدة طويلة ».

والخوف مما قد يحتمل حدوثه من مشاكل يزيد سرور المريض وكلما زاد احتمال الخطر كلما تجسم له هذا السرور فهو يعرف أن القانون والأخلاق يمنعانه من هذا الفعل الفاضح وأن وقوعه فى يد العدالة مرة كفيل أن يلقى به فى غياهب السجون ومع ذلك لا يجد إلا ما يلهب خياله.

وهاك مأساة أخرى يقصها شاذ حكم عليه بالسجن :

« إنى مخلوق تعيس الحظ فأنا رجل طبيعى أقوم بأعمالى خير قيام. ولكن فى كل شهرين أو ثلاثة أصاب بنوبة تدفعنى إلى السير فى الطريق ساعات طويلة. ولقد ذهبت مرة إلى المستشفى لأمنع نفسى من التعرض للخطر ولكن فى الساعة التاسعة ليلا وصلت النوبة إلى أشد حالتها فقفزت من السور مدفوعا بقوى لا يمكننى مقاومتها وجريت بأقصى سرعة وهناك فى طريق مهجور شاهدت عن بعد فتاة تقترب فاختبأت فى مكان معتم ولما اقتربت منى عرضت بعض جسمى وما زلت أذكر كيف أن عيونها اتسعت خوفا وذعرا وأنها أغمى عليها ولكن ذلك كله ألهب حواسى لدرجة أوصلتنى إلى رضاء تام.

وأخرى يقصها الدكتور « موران » عن أحد مرضاه :

مندوبا متجولا لإحدى شركات المطاط وعمره خمسون عاماً : وطباعه تلائم الموظف الذى يتقن عمله بكل جد ومظهره الخارجى وقور ومحترم. وعلى قدر كاف من التعليم. وكان يرتدى معطفا أزرق خلال طوافه على المنازل لعرض منتجات الشركة التى يعمل بها. مستعملا ألفاظاً مهذبة جداً.

وكان كل شيء يسير كما يجب .. إلا فى حالة واحدة فإذ ذاك عندما يصل إلى عرض نوع معين من أنابيب المطاط. تغرورق عيناه بالدموع وتهتز أهدابه وتحمر خدوده. ويثقل لسانه ويحتبس صوته حتى يخيل للذى يشاهده أنه يقاوم رغبة جارفة آثمة. تسيطر عليه حتى تصرعه وعندئذ يفقد كل وقاره. وينظر إلى وجه محدثته التى ألجمها الخوف ويبدأ فى خلع ملابسه.

العــــلاج

هذه بعض أحوال شاذة سجلتها دائرة العلوم الحديثة ويرجعون هذا الشذوذ إلى ما يسمى « عقدة الإخصاء ».

أى الخوف الذى يشب مع الطفل لاحتمال فقد بعض الأعضاء وهذا ينشأ عن تكرار خوف الطفل وتحذيره من لمس أعضائه وإلا مسها ضرر. فقد يبالغ بعض الآباء ويحدث طفله بأن مجرد تعريض أعضائه أو لمسها يؤدى إلى فقدها.

والواجب أن لا نبالغ فى الاهتمام بحركات الطفل وأن

لانفسرها على ضوء خبرتنا الجنسية .

وعلاج هذه الحالة يقتضى تحليلا نفسيا للوصول إلى كيفية نشوئها .

ومظهر هذا الشذوذ فى مصر انتشار النبول والتبرز فى الطرق وميل الكثيرين إلى النكت الخارجة عن الأدب خصوصا لو كانت فى حضور أفراد من الجنس الآخر .

السادية والماسوشية

حالة ثالثة من حالات الانحراف الجنسى لها خطرها البالغ هى أن يصحب العلاقة الجنسية قوة تخاف شدة . جرد الضرب إلى القتل .

فإن كان الرجل هو الذى يقوم بمهمة التعذيب اعتبرت الحالة « سادية » وإن كانت المرأة هى التى تتولى هذه المهمة كانت « ماسوشية » وفى الحالتين يصل الرجل إلى رضاء تام . أى أن الرجل إما أن يجد المتعة فى تعذيب من معه ويتلذذ من مظاهر الألم التى تبدو على وجهها أو أنه يجد فيما يتعرض له من ألم نشوة جنونية . وبالمثل المرأة .

وقد سميت الحالة الأولى بالسادية نسبة للمركيز دى ساد الذى لم يتورع عن تسجيل أعماله الإجرامية فى مذكراته التى أشهرها .

كتاب « جوستين وجوليت » حيث يصف المناظر الآتية :

أجسام دامية وأطفال تنتزع من أحضان أمهاتهم ، فتيات تقطع رقابهم فى نهاية علاقة زوجية ، أكواب تملأ بالنبيذ والدم ، اختراعات عجيبة لآلات التعذيب : غلايات كبيرة توضع فيها أجسام الرجال والنساء ثم تسلخ جلودهم أسلحة لنزع القلوب من الصدور ... إلى غير ذلك مما تقشعر له الأبدان ! . وبعد كل هذه الحوادث التى تهلع من مجرد سماعها الأفئدة يقف هذا المركيز المجنون مبتسما راضيا بما عمل ..

أما الماسوشية فقد سميت تبعا للكاتب الألمانى « ساشر ماسوش » مؤلف كتاب « فينوس فى ملابس من الفراء » حيث يصف غراميات امرأة قاسية محبة للسيطرة مع رجل يجد سرورا فى سيادتها عليه !

وقد خيل للقراء أن المؤلف يصور إلا قصته شخصيا ومن هنا نشأت التسمية هذا على الرغم من أنه احتج بشدة على هذه التسمية وأنكر بتاتا كل صلة له ببطل القصة . وهذا جنت على الكاتب قصته .

والوقع أن هناك شبها كبيرا بين السادية والماسوشية على الرغم من الاختلاف الظاهرى بينهما . فالواقع أن الحالتين تسيطران على نفس الشخص فى وقت واحد .

وهذه حالة يقصها الدكتور إبرهام :

ا — ب .... رجل فى الخامسة والثلاثين من عمره ، عمله يدوى ، يحب أن تضربه زوجته وتقيده فى سلاسل فيستسلم لها كل الاستسلام . ولكن مايمكن أن تعمله الزوجة من ضروب التعذيب قليل لا يكفى لإرضاء الرجل والوصول به إلى السرور التام . ولذا ينصرف الزوج إلى تعذيب نفسه (سادية ذاتية) . بأن يجرح نفسه بسلاح حاد وبذا يصل إلى مايرجوه من سرور التام . ولذا ينصرف الزوج إلى تعذيب نفسه (ساديه ذاتية) . بأن يجرح نفسه بسلاح حاد وبذا يصل إلى مايرجوه من سرور وكان يحدث هذه الجروح فى نهاية ظهره أعلى الفخذين .

وفى كثير من الأحيان كان يشعر برغبة فى تعذيب زوجته وأحياناً كان يتردد على الأحياء غير الشريفة حيث يعذب بعض ساكناتها ضربا بالسياط .

وعلى هذا فهوسادى أحيانا ، ماسوشى أحيانا أخرى والواقع أنه من النادر العثور على سادية صرفه أوماسوشية صرفه فالحالتان متلازمتان دائماً .

ولذا عرف « فرويد » — الماسوشية — بأنها سادية نحو الشخص نفسه ..

وإلى وقت قريب كان الاعتقاد العام أن السادية لايمكن أن

توجد إلا فى الرجال الأقوياء ، [illegible] من الحالات أثبتت وجود ساديين ضعاف البنية وماسوشيين أقوياء .

وفى السادية والماسوشية ليس للأعضاء التناسلية عمل مباشر لأن العلاقة الجنسية استبدلت بالقسوة والتعذيب . فقد لاحظ الدكتور هزنارد فى معظم الأحوال أن الشواذ (الساديين والماسوشيين) يستهلكون قواهم فى التعذيب حتى يمكن أن يصلوا إلى رضاء جنسى — إذ أنهم فى الواقع مصابون بالعنة أى الضعف التناسلى .

وقد يسلم البعض بأن التعذيب ومشاهدة إثارة على الغير قد يكون باعثاً للسرور بدوره قد يؤدى إلى الرضا الجنسى . ولا يسلمون بأن الألم يمكن ان يصل بالمريض إلى تمام الرضاء .

والواقع أن السرور نفسه ليس هو الذى يرضى المريض إنما الإحساس الداخلى الذى نشأ عنه فى النفس . فكما أن السرور ينشأ عنه إحساس داخلى كذلك الألم فكأن الألم والسرور قد أوجدا إحساساً داخلياً ، هذا الإحساس الداخلى هو السبب فيما يشعر به المريض من رضاء .

وقد أكد العالم « هاتلوك اليس » أن الساديين والماسوشيين غالباً ضعاف من الوجهة التناسلية ولابد من منشط قوى يثير إحساسهم الجنسى . ومن أمثلة هذه المنشطات السروروالحزن .

ولا يغيب عن بالنا أن للسادية والماسوشية أثر فى التكوين
يعى للحياة الجنسية .

فالحياة الجنسية تتضمن بعض مظاهر عناصرها الألم كالضم
ف واستعمال الأسنان والأظافر . ولعل الكثيرين منا لاحظوا
أن أناث بعض الحيوانات تشاهد بشغف اقتتال الذكور .

والساديون لايستعملون القسوة تعطشاً للقسوة نفسها ، بل
يرغبون من رفيقاتهم إعتبار الألم كالسرور . وكما يثيرهم
كذلك يتمتعون بالألم فهم يريدون إثارة من معهم بأى
وأشد الطرق تأثيراً فى نظرهم هو إيلامهن .

ولذا يلجأ بعض الساديين إلى وخز ضحاياهم الأبرار ويصممون
أن تحتفظ الضحايا بالابتسامة التى تقنعهم بالسرور وحتى إذا
ت الحالة إلى قتل الضحية ... لايكون الغرض هو أحداث
بل ملتمع بمشاهدة الدم . وهذا هو السبب فى أن هؤلاء
ين يحدثون الجروح فى أكثر المواضـــع إزدحاما بالأوعية
ية .

وقد تضعف السادية والماسوشية إلى حد الاكتفاء بالشتائم ..
هذا الشذوذ بسيط نلخصه فيما يلى .

تتوقف حياتنا على ما يمكن أن نبذله من طاقة حيوية تشبه
يندفع من النفس ليعبر عن نفسه فى طريقين أحدهما يمثل

حب السيطرة على كل ما يحيط به من معنويات وماديات والآخر يمثل الرغبة فى الاحتفاظ بالجنس «الغريزة الجنسية» والحالة الطبيعية هى حيث لايعوق التيار السارى فى الطريقين شىء ولكن لو سدت إحدى القناتين فإن الطاقة الحيوية لاتندفع فى الطريق الخالص وهنا يظهر الشذوذ ، اعنى لو أمتنع تصريف بعض الطاقة عن طريق الغريزة الجنسية لاتجهت كل الطاقة الحيوية إلى طريق الغريزة الثانية «حب السيطرة» فإن الطاقة تتجه كلها إلى إرضاء الغريزة الجنسية إذ يجد فيها المريض وسيلة لإرضاء غريزة السيطرة أيضاً .

وهذا هو السبب فى أن معظم الشواذ من المصابين بضعف تناسلى ، هذا بالنسبة للسادية أما الماسوشية وهى كما سبق القول تلازم السادية فتحل محل غريزة السيطرة غريزة أخرى هى غريزة الخضوع . فلابد للطاقة الحيوية أن تجد منفذا لها ولا فرق بين غريزتى السيطرة والخضوع فالأولى سيطرة من الذات والثانية سيطرة على الذات .

وليس معنى ذلك أن يتخذ الإنسان أى طريقة لتصريف طاقته .. ولكن من واجبه أن يعمل على توجيه هذه الطاقة وجهة نافعة. ويكتفى من طريق الغريزة الجنسية بأبسط نصيب على أن يصرف باقى الطاقة فى تحسين مركزه وخدمة المجتمع ومعظم النوابغ من الرجال كانو هكذا . ولعل التاريخ يذكرنا بذلك فهذا نابليون وهتلر وسعد زغلول من أحسن الأمثلة على ذلك .

وليس معنى ذلك أن نكبت غرائزنا إنما واجبنا أن نسموبها ..

وهناك بعض أحوال سجلتها دائرة المعارف الحديثة عن
عن مشاهير الشواذ . . .

مصارعو الثيران ومحبو المصارعة الحرة ولاعبو السرك . . .
والمدرسون الذين يحبون ضرب التلاميذ وتعذيبهم ممن يعتمدون على القول الخاطىء . . من يحب كثيراً يعاقب كثيراً ولعل مثلنا البلدى المشهور . . . « ضرب الحبيب زى أكل الزبيب » ليس إلا أثراً من أثار السيادة والماسوشية .

— لوسيان ، من عصور الرومان يقول . إن الرجل الذى لم يمطر حبيبته بوابل من الضربات، ولم يشد شعوها من جذوره ولم يقطع ملابس حبيبته لم يحب بعد .

— نيرون الذى كان يلهو بقيثارته وروما تحترق . وأصوات القتلى وصراخ الأطفال يرن فى أذنيه كموسيقى ناعمة تبعث فى نفسه اووع المشاعر .

— سفاح دوسلدورف الذى تسبب فى قتل عشرات من النسوة .

— سفاح ماتوسكا الذى تسبب فى حادث بيانور باجى حيث ارتكب ما أدى إلى قلب قطار بأكله وتمتع بمرأى مئات الجثث المحطمة الدامية ضاحكا راقصا على أصوات نزعهم .

— سجانو مناطق الاعتقال فى ألمانيا ولعل الكثير لم ينسوا كيف كانت جلود الضحايا تنزع من أجسادهم لتزيين المنازل .

— وحش الإسكندرية . . الذى قتل عدداً من الرجال بعد

علاقة شاذة .. فهذا الرجل لم يجد الوسيلة التى تكفل له إرضاء غريزته الجنسية تمام الرضاء لسبب ما .. كإصابته بضعف تناسلى وهو الرجل القوى الجسم أو رغبات مكبوتة فى نفسه من الصغر فاتجهت طاقته الحيوية إلى غريزة السيطرة حيث نجح فى أعماله ووصل إلى ثراء يحسد عليه لم يهىء له فرصة التمتع بالغريزة الجنسية فاتجه فى التيار الذى وصمته الأخبار وكان عند تعذيب فريسته وقتلها يتلذذ جنسياً .

الماسوشية

أما الماسوشيون فأكثر عدداً والشواذ من الرجال أضعاف الشواذ من النساء لأنه من الطبيعى أن تخضع المرأة للرجل فليس فى ذلك شذوذ .

وأشهر الماسوشيين وهم الفريد موسية وروسو . والأخير يروى أخبار شذوذه فى كتبه بلا تورع وقد اعترف بأنه كثير ما جلدته صديقته الآنسة لامبير سيير وكان يجد فى ذلك لذة كبرى .

وهو يعبر عن ماسوشيته بقوله :
« كم هو لذيذ وممتع أن يجد الإنسان نفسه تحت أقدام سيدة متكبرة ، يطيع أوامرها ، ويلبي مطالبها ، كالكلب الأمين ولا يتردد فى أن يقدم لها إعتذاره عن كل ما يرضيها . وكلما أمعنت فى إحتقارى كلما زاد حبي لها ! »

ويصف الدكتور هزنارد أحد مرضاه فيقول . . . كان يجد

متعة كبرى فى ان يجد نفسه ذليلا امام صديقته حتى ليزيد نفسه
ذلة بشرب إفرازاتها وإذا لم تتيسر له صديقته كان يتخيل مناظر
بشعة ويتصور نفسه مسجوناً تقيده سلاسل ضخمة حيث يعذبه
عشرات من الحراس قساة القلوب كما يصف مريضاً آخر فيقول :
وكان يحتفظ فى منزله بمجموعة من الأدوات الحديدية كالكماشات
والملاقط ، والحبال والمسامير والدبابيس التى كان يضعها على
النار قبل إستعمالها . ثم يجلس بين أقدام صديقته مقدماً لها كل
فروض الطاعة والاحترام ويدعوها إلى ركوبه كما تركب الحمار
وتنتقل به من مكان لآخر .

يجد الماسوشيون صعوبة كبرى فى الحصول على من يمكنها
أن تستعبدهم . وكثيراً ما ينشر بعضهم فى الصحف إعلانا فيه
« مطلوب مدلكة قوية جداً أو مطلوب مدبرة منزل قاسية ، أو
رجل مهدد بالقتل يطلب امرأة قوية تتقن المصارعة الحرة لحمايته .

العـــلاج

من الصعب جداً علاج هذه الأحوال بصفة عامة حيث
تختلف كل حالة عن الثانية تبعاً لطريقة نشأتها. ويمكن أن يتولى
هذه المهمة طبيب نفسانى يحلل نفسية المريض ليتعرف من عقله
الباطن ماضيه بأسئلته المنوعة ومتى وصل إلى سر هذه العقدة فإنه
من السهل جدا أن يتم العلاج . وقد اتبعت فى ألمانيا طريقة
الإخصاء كوسيلة لإنهاء كل رغبة جنسية وأحياناً يكتفون
بحجز المريض فى مستشفى خاص .

عشق الجنس

هذا نوع آخر من الشذوذ معناه ميل جنسى شاذ من الذكور
للذكور أو من الإناث للإناث وهو أكثر أنواع الشذوذ إنتشارا
ويعاقب عليه القانون الدينى والوضعى . وتبلغ نسبة المصابين
به ٣ فى المائة فى العالم وقد زادت هذه النسبة كثيراً فى الحرب
الأخيرة .

وقد لوحظ هذا الشذوذ فى بعض الحيوانات كالخنازير
والقردة كما أن التاريخ يحدثنا عنه كثيراً فهذا ارسطو طاليس
يصف الحب بين الشبان وهناك بعض الفلاسفة الذين يرفعون
مثل هذا النوع إلى مستوى أعلى من الحب الأصلى بين الجنسين.

فأفلاطون يقول :

« أن من الظلم أن تتهم عشاق الجنس بعدم التواضع فهم لم
يلجأوا إلى هذا الطريق لقلة تواضعهم بل لأنهم أقوياء الروح
والرجولة فهم يبحثون عن شركاء من نفس جنسهم لأنهم يقدرون
جنسهم هذا ، وهو يستمر فى وصف علاقته مع سقراط .

ومن مشاهير الشواذ يوليوس قيصر ونيرون وفيليب
الجميل وهنرى الثالث ورودلف الثانى « آل - هبسبرج » .

وجاء عصر النهضة حيث نجد ميجائيل انجلو ومارلو وشكسبير
الذى تحدث بصراحة عن ميله الشاذ فى كثير من كتاباته .

والواقع أن منشأ هذا الشذوذ يرجع إلى نقص فى التربية الجنسية ويقول عنه فرويد .

« فى جميع الأحوال لاحظنا أن الشواذ فى فترة من حياتهم ركزوا كل إهتمامهم فى امرأة هى غالباً أمهم ، فلما انقضت هذه الفترة ولم يجدوا أحداً يهتمون به أو من يمكن أن يحل محلها اهتموا بأنفسهم وبأمثالهم » .

وفى رأى آخر :

أنه ينشأ عن نقص فى التربية الجنسية أثناء مرور الطفل فى المرحلة الجنسية الثانية على إعتبار أن مراحل نمو الطفل الجنسية ثلاث وهى حب : الذات . حب الجنس نفسه . حب الجنس الآخر ...

ففى هذه المرحلة (عشق الجنس) تنتقل محبة الشخص لذاته إلى زملائه من الجنس نفسه فترى الولد يحب الأولاد أكثر مما يحب البنات حتى لقد يحتقرهن ، والعكس مع البنات فإنهن يحتقرن الصبية . وكثيرا ما يلاحظ تأليف عصابات فى المنزل الواحد من البنين ضد البنات وهذا التحزب طبيعى لأنه طريق للتحمس للجنس الأحسن والأقوى وأن الآخر أحقر منه ، وكذلك البنت تشعر نفس الشعور .

وهذا لابد منه فهو أحد مظاهر الرغبة فى البقاء وحفظ النوع والسيطرة وعامل مهم من عوامل التربية حتى يشعر كل بقيمته

ويسعى للعمل على رفعة نفسه ورفعة الجنس الذى ينتمى إليه ويسهل عليه بعد ذلك أن يؤدى رسالته فى الحياة بنجاح وقد يرى الولد فى هذه المرحلة أن والده أو شقيقه أو صديق لأحدهما بطلا فيعتبره مثله الأعلى وكذلك البنت ترى مثل هذا فى أمها أو أختها أو مدرستها . وأظن أننا كلنا لنا هذا الشعور وما زلنا نلمسه فى أخواتنا وأبنائنا .

وهذه المرحلة الثانية تتم فى سن ٧ — ١٤ .

والانتقال إلى المرحلة الثالثة (الميل للجنس الآخر) مهم وتظهر هذه الرغبة فى حب الولد لأمه وميله إليها أكثر من ميله لأبيه بعد المرحلة الثانية .

وهذا هو السبب فى النظرية القائلة أن الولد يتزوج أكثر السيدات شبهاً بأمه والبنت تفضل من الرجال من يشبه أباها — بفرض حسن العلاقات بين الوالدين والأبناء .

وقد تسبب عن عدم الانسجام بين الإبن وأمه أن يكره الجنس الآخر ويستمر على حبه لأبيه ويعانى كثيراً فى حياته خصوصاً الزوجية ويحدث المثل للبنت التى تجد فى أبيها ما يرضى آمالها فتنصرف عنه إلى حب أمها وتستمر على حب جنسها وتكره الجنس الآخر وهذا أحد الأسباب الرئيسية التى تؤخر بل قد تمنع النمو الجنسى الطبيعى وتتدرج إلى حب الجنس الآخر وتجعل من بعض الناس عشاقاً لجنسهم .

ومن واجب الوالدين فى هذه الحالة أن يراقبوا تصرفاتهم وأن يجعلوا من أنفسهم مثلا عليا لأولادهم فيجدوا فيهم كل الصفات التى تحببهم فى الجنس الآخر وإذا وجدوا انحرافاً عن الطريق الطبيعى لعاطفة البنوة الطبيعية — ومن مقتضياتها أن الولد يحب أمه أكثر والبنت تحب أباها أكثر — فمن واجبهم ألا يشجعوا هذا الانحراف بل يقوموه بلباقة .

وأن يراقبوا الأطفال جيداً ويعطوا المعلومات الكافية حتى لا يلجأوا إلى علاقات غير طبيعية لاستكشاف ما يلزمهم من معلومات وقد يستسهلوا العلاقة مع أفراد جنسهم وهنا الطامة الكبرى وأحياناً يخطىء بعض الآباء فيحببوا للطفل رفعة جنسه ويبعثوا فى نفسه الكراهية للجنس الآخر .

العــــلاج

أولا : بعملية جراحية فى حالة الشاذ السالب .

ثانياً : التنويم المغناطيسى .

ثالثاً : التحليل النفسى .

رابعاً : توجيه رغبات الشاذ إلى الإتجاه الصحيح بإيجاده فى وسط تتوفر فيه عوامل هذا التوجيه .

وعلى هذا لن يكون الزواج علاجا حسناً لهذه الحالة ولكن يرى البعض أن يتم الزواج على أن تعلم الزوجة بالشذوذ وربما على مر الأيام يمكن أن يستعيد الزوج طبيعته .

خامساً : ولعل آخر علاج هو استعمال خلاصات بعض الغدد وهذا لم يتم بعد وضعه فى متناول الأطباء إنما النتائج الأولى تدل على نجاح كبير . ويقول المتحمسون لهذا العلاج أن الشذوذ وراثى إلى حد كبير فلابد أن سببه يعود إلى نقص فى تكوين الجسم الداخلى . وأن إمتحان التكوين الخارجى للجسم يمكن أن يدل على إحتمال لإصابة بهذا الشذوذ لو توفرت الظروف المناسبة .

هذا نوع غريب من الشذوذ الجنسى يميل المريض به إلى التشبه بالجنس الآخر خصوصاً فى الملابس فضلا عن العادات والآراء . وليس من الضرورى أن يكون من « عشاق الجنس » .

والترلشفزم أو الايونيزم كما يسميه البعض تبعاً للشيفاليه « إيون » .

هذا الشيفاليه ذو شخصية أفسح لها التاريخ بعضاً من سطوره مات فى لندن عن ٨٣ عاما بعد أن أمضى ٤٩ عاما كرجل و ٣٤ كامرأة . وكانت حياته حديث المجتمعات فى أيامه . حتى بلغت المراهنات على نوع جنسه يوم وفاته إلى ٢٠٠ الف جنيه فى إنجلترة و ٨٠ الفاً فى فرنسا . وكسب الرهان من قالوا أنه رجل إذ ثبت ذلك بالكشف الطبى .

والإيونيزم مرض كثير الانتشار والذين بهم ميل إلى هذا الشذوذ يخفونه عادة بمهارة حتى أن أقاربهم لا يعلمون شيئاً عن ميلهم هذا . وقد تكون حياتهم الجنسية خالية من الانحرافات

ولو أن قوتهم ومقدرتهم فى هذه الناحية تكون أقل من المتوسط .

وينشأ هـذا الشذوذ تحت نفس الظروف التى ينشأ عنها « عشق الجنس » والبعض يؤكد أنه صفة تكتسب فى معظم الأحوال وأن الالتصاق التام بشخصية أحد الوالدين ، الأم للبنين والأب للبنات ، قد تؤدى إلى خلق هذا الميل . ويقول البعض الآخر بأن سببه داخلى وليس مكتسبا وأنه فقط يقوى ويشتد بتقدم العمر وأن المناسبات المفاجئة تزيده حدة وتبلغه غايته .

ويقسم هيرشفيلد الإيونيزم إلى عدة أنواع .

١ — الإيونى الكامل المتحمس « الذى يريد تغيير كل مظاهر جنسه » .

٢ — الإيونى الجزئى « الذى يقنع ببعض الملابس — لبس الجوارب الحريرية والأقمصة والكلسونات الخفيفة فى الرجال — أو الملابس الرجالى الخشنة فى حالة السيدات .

٣ — الأيونى بالاسم « الذى يفضل أن يشتهر باسم من الجنس الآخر ، جورج صاند مثلا .

٤ — الأيونى المستديم « الذى يبقى متنكراً طيلة حياته » .

٥ — الأيونى المؤقت الذى يظهر ميله على فترات .

٦ — الأيونى المحب للشواذ من الجنس الآخر الرجل يحب

المرأة المسترجلة والمرأة تحب الرجل المخنث .

٧ — الأيونى « عاشق جنسه » .

٨ — الأيونى « عاشق الجنسين » .

ويتضح من الحالة الآتية التى فحصها الدكتور هيرشفيلد كيف أن هذا الميل قد يستعبد المريض به .

رودلف (دورا . ر) رجل فى الأربعين من عمره . تقلب فى كثير من المهن وآخر عمل له كان (طباخا) فى أحد مطاعم برلين الكبرى ، ولد فى (إيرزبيرج) من والدين صحتهما جيدة وكان له أشقاء كاملى الصحة والجسم والعقل .

هذا إذا كانت بيانات رودلف صحيحة .

وحتى العام السادس من عمره لم تظهر عليه أى ميول مخالفة لمن حوله من الأطفال فكانت له كل نزعات الأطفال كما كان هادئاً سهل التربية . ولم يكن يلفت النظر إليـه إلا سكونه وتحفظه فكان يلعب ولم يحدث مطلقاً أن ضايق أحداً بلعبه صغيراً كان أم كبيراً ، حتى كان اليوم الذى رغب فيـه أهله أن يغيروا ملابس البنات التى كان يرتديها ، شأن كل ولد فى السن الصغير ، إذ ثار وقاوم بكل قواه حدوث هـذا التغيير مصمما على الاحتفاظ (بفستانه) وبالطبع نجح الوالدان فى إرغامه على ارتداء (بدلة) قائلين أن الأطفال الذين غلبهم مظاهر الرجولة يلبسون (بنطلونات) .

ومن هذا الوقت بدأ سلوك الطفل يتغير فكان يربط أحيانا بعض أعضائه المميزة لجنسه بخيط راغبا فى التخلص منها وقد أفصح عن ذلك بقوله إن هذه الأعضاء زائدة وليس لها ضرورة وحبذا لو أمكنه التخلص منها . وقد كشفت محاولات كثيرة منه لإتمام هذا الغرض !

وفى الأعوام التـــالية لوحظ بشكل أوضح أن (الولد) يتكلف ويصطنع حركات البنات .

وفى السر كان يرتدى ملابس (أخواته البنات) وكان يجد فى هذا لذة وسروراً لايعادلهما إلا سروره لو ترك يسير متهاديا فى هذا النوع من الملابس .

ولم يكن فى مظهره أى خلاف مع أصدقائه الذين من طبقته وأتم دراسته بنجاح بعد أن حصل على معلومات عامة طبية ، ثم بدأ العمل فى سن السابعة عشر وأظهر مقدرة وسلوكا طيبا . كما قدره كل من عمل معه .

كما أن شذوذه الجنسى نما — الميل المخالطة الذكور — وتضخم ميله لإرتداء ملابس السيدات ولذا ترك الحى الذى يسكنه وسكن مدينة كبيرة حيث أمكنه أن يجد حرية تامة للتنفيس عن ميوله ، وعاش متنكرا فى صورة امرأة فى سن ٢٦ إلى ٢٧ .

وقد ساعده تكوينه الجسمانى على هذا التنكر فقد كان جسمه ناعما خاليا من الشعر وأذرعه وأرجله دقيقة التكوين كما أن

صدره كان ناميا إلى حد ما فهو من ناحية الشبه بالإناث كان كاملا .

ولكن ككل الشواذ كان يشعر بأنه رجل لوجود أعضاء خاصة ولذا ما أن حل عام ١٩٢١ حتى أجرى عملية جراحيـــة (يقصد تعقيمه) .

وكنتيجة لهذه العملية ضعف ميله الجنسى ولكن شذوذه (عشق الجنس) بقى ، كما أن عواطفه ومشاعره لم تتغير .

على أن هذا التغيير لم يكن كافيا ليوصله إلى درجة الأنوثة التى يرغبها خصوصاً بالنسبة لأعضائه الجنسية .

وأخيراً فى عام ١٩٣٠ أمكنه أن ينجح فى إجراء عملية « إخصاء » — تلك العملية التى حاول مرة وهو فى السادسة أن يجريها — وبذلك تخلص من أعضائه الزائدة ، ومرت ستة أشهر بعد ذلك فكان « التحول إلى أنثى » كاملا بأن عملت له قناة تشبه الموجودة عند الإناث « المهبل » .

ونجح بعد ذلك فى إنشاء علاقات جنسية مع الرجال حتى تزوج ولكن لم تنته القصة إلى أقصى ماكان يمكن أن يتمنى فلم « يحمل » — وذلك راجع بالطبع إلى تكوينه الداخلى الذى لايشبه تكوين الأنثى — وإن كانت تنتابه أحيانا نوبات من القىء كما يبدو على النساء الحوامل فى الشهور الأولى من الحمل .

هذه قصة واقعية سجلتها دائرة المعارف الحديثة يتبين منها كيف أن الميل الذى ظهر فى الصغر نما على مر الأيام وتقوى

وصارت ملابساته أشد عمقا وخطرا . حتى وصلت بالمريض إلى الهدف الذى كان يرمى إليه .

كان الأولى بوالديه ان لايفرضا عليه تغيير زيه وأن لايقمعا الرغبة التى ظهرت عنده بهذه الشدة وأن يبحثا عن الأسباب التى حببته فى هذا الشذوذ فقد تكون معاملتهم للبنات أفضل من البنين أو أن حديثهم عن مستقبل الأولاد أو حنقه على المستقبل المتعب الذى ينتظره أو أن الأم كانت تعامل الأب بطريقة مهينة شعر الطفل بعدها أن حياة الأناث أفضل من حياة الذكور . أو أن الأب لم يكن متحلياً بصفات الرجولة الكاملة التى ترغب أولاده أن يتخذوا منه مثلهم الأعلى .

إلى غير ذلك من الاحتمالات. وهذا يوضح خطورة واجب الآباء والأمهات .

° ° °

وعموماً ليس فى إرتداء ملابس الجنس الآخر أى خطورة سواء بالنسبة للمريض أو للمحيطين به إلا إذا تعرض هذا الميل لمقاومة عنيفة .

° ° °

وقد تحدث مضايقات من هذا الميل كذلك البحار الذى جند وكان يرتد فى أيام راحته ملابس النساء ثم قبض عليه واتهم الجاسوسية وكان على وشك أن يعدم بالرصاص لولا أن شهد

لصالحه الطبيب الذى فحص حالته !

° ° °

وهذا الميل كثير الانتشار وينتهز المرضى به فرصة حفلات الرقص التنكرية لإرضاء ميولهم والكثيرون منهم لايحسون أن فى هذا التنكر مزاج جنسى !

وآخر حالات لهذا الشذوذ وأحدثها هى حالة الرسام الهولندى «اينار وجنر» الذى أجريت له عملية إخصاء وزرعت له عليها مبيضان كما استحدث له مهبل صناعى وتزوج رسمياً تحت اسم «ليلى الب» ولسوء الحظ مات من الضعف الذى إنتابه أثر العمليات الخطيرة المتوالية .

وأخيراً لعل فى هذا النوع البسيط من الشذوذ الذى ينتهى إلى هذه الخطورة ما يؤكد دقة موقف المربين وضرورة تزويدهم بالمعلومات الصحيحة .

الناشر

سيد حسن أحمد

عشق الذات . النارسسزم

سمى كذلك نسبة «لنارسيس» أحد أبطال الإغريق الخياليين الذى أولع بحب نفسه لما رأى صورته منعكسة على مياه نهر كان يستحم فيه . وهذا الشذوذ معناه وجود جاذبية ذات طابع جنسى بين الشخص وجسمه أو بينه وبين تكوينه العقلى أحياناً .

وإلى زمن قريب كانت «العادة المنقوتة» تعتبر نوعاً من أنواع عشق الذات (النارسسزم) والواقع أن بينهما فرقاً واضحاً. فقد تكون العادة أحد مظاهر النارسسزم ولكن من الضرورى أن يكون مدمنو العادة من النارسيسين .

فمدمن العادة يلجأ إليها بتأثير عـــدم وجود شريك بينما النارسيسى لايشعر بأى حاجة لمن يشاركه عواطفه . كما أنه يرى فى جسمه كل ما يلبى رغباته ويرضى نزواته الجنسية أما مدمن العادة فيجد فى نفسه الأداة التى تروى جوعه الجنسى .

وأخيراً ليس من الضرورى أن يكون (النارسيسى) مدمنا للعادة فهو يكتفى بدلايل نفسه ويمر على أعضائه المختلفة بحنان وحب أو قد يستعرض مفاتن جسمه فى المرآة فى أوضاع مغرية .

يمر الطفل فى حياته الجنسية الأولى بفترة حب ذاته ، ويرى بعض فلاسفة الحب فى ذلك أنه غريزة وأن أى حب تجاه أى شخص لاينشأ إلا عن حب الذات فإعجاب الرجل بنفسه يدفعه

إلى البحث عن يعجب به وبالمثل فى السيدة فإنها تحب حتى يتوفر لها معجب يرضى غرورها وإعجابها بنفسها .

فالحب إذن ليس إلا أنانية غرضها تأكيد قيمة الذات .

وأشد الناس تعرضاً للنارسسزم هم أصحاب الحساسية الزائدة خصوصا النساء ويجد علماء الجنس فيما قاله فالبرا الكاتب الأسبانى ما يوضح نفسية الشاذ .

ومعظم النساء اللاتى يقدرن جمالهن يجدن لذة كبرى فى الإعجاب بمحاسنهن وتلعب المرآة دورا كبيرا فى حياتهن .. فإذا تعين من ألبسن أجسادهن حرائر جميلة شفافة وجعلن يتفنن فى إتخاذ أوضاع مغرية ترضى عيونهن . ولا يطلبن أثناء ذلك وجود من يراهن فلديهن من خيالهن منتهى الكفاية وهن يعتبرن صورهن مصدرا غنيا للمتعة واللذة . وكذلك الصور الفوتوغرافية تعتبر مصدرا آخر لسرورهن فهن يقضين الساعات الطويلة معجبات بما أخذ لهن من صور ! .

وهناك أخريات لايقنعن بمثل ما سبق ولكنهن ينهمكن فى تحسس أجسامهن بشغف زائد مبعثه حبهن لذواتهن .

والنارسيسية عادة تظهر فى أشخاص حبتهم الطبيعية بعطفها .

لذا يكثر هذا الشذوذ فى محترفى الغنـاء والتمثيل إذ يغرهم النجاح والإعجاب وينتهى بهم الأمر بأن يشعروا بذواتهم على أنها أهم موضع لإعجابهم. هذا على الرغم من نجاحهم فى العلاقات الجنسية.

والواقع أن النارسيسية فى هذه الحال تعتبر فسيولوجية (أى شىء يتعلق بعلم وظائف الأعضاء) وليست جنسية مبعثها رغبة أعضاء الجسم المختلفة فى أن تكون موضع عناية صاحبها حتى يبقى محطا لإعجاب الناس ..

وقد يحدث أن يبالغ الرجل النارسيسى فى شذوذه فيطغى حبه لذاته على أى حب آخر بحيث لايجد أى لذة فى علاقةزوجية كذلك الرجل العالمى المشهور الذى ملأت صوره أنحاء العالم فى أوضاع مختلفة وحاز إعجاب الجماهير ومع ذلك لم يكن على علاقة زوجية بأى شخص وكان يجد كل متعته فى انتشار صوره وإعجاب الناس به فقط هذا الرجل هو «رودلف فالنتينو» معبود الجماهير فى يوم ما .

وقد يتطور النارسسزم ليصبح نوعا من حب الرؤية إذ يجد الشاذ لذة كبرى فى مشاهدة نفسه خلال علاقة زوجية باستعمال مرآة كبيرة .

وقد استغلت بعض الجهات هذا الضعف وبنت فنـــادق حجرها مبطنة بالمرايا .

وهذا النوع من الشذوذ ينشأ من المرحلة الجنسية الأولى حيث لايجد الطفل من يعطف عليه أو من يلاعبه فيركز إهتمامه بنفسه .

ومن ثم يعتاد ذلك وقد ينشأ عن زيادة إفراط الأهـل فى الإهتمام بالطفل فيجعلون منه دائماً مركز تدليلهم لدرجة مبالغ فيها وبذا يعملون على تركيز ميله فى نفسه ..

To: